

مُهَذَّبُ خُطْبَةٍ:

عُلُوُّ الْهِمَّةِ

سَبِيلُ الْأَمَمِ الْمُتَحَضِّرَةِ

جمعٌ وترتيبٌ

مِنْ خُطْبٍ وَمُحَاضِرَاتٍ فَضِيلَةَ الشَّيْخِ:

أَبِي عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدِ بْنِ سَعِيدٍ رَسُلَانَ

حَفِظَهُ اللَّهُ تَعَالَى

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ، نَحْمَدُهُ، وَنَسْتَعِينُهُ، وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا
وَسَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يَضِلَّ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا
إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ ﷺ.

﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُونَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [آل

عمران: ١٠٢].

﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا
رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ ۖ وَالْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾

[النساء: ١].

﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ
وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧٠-٧١].

• أَمَّا بَعْدُ:

فَإِنَّ أَصْدَقَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللَّهِ، وَخَيْرَ الْهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ ﷺ،
وَشَرَّ الْأُمُورِ مُحَدَّثَاتُهَا، وَكُلُّ مُحَدَّثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلُّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ، وَكُلُّ
ضَلَالَةٍ فِي النَّارِ.

• أَمَّا بَعْدُ:

عَلُوُّ الْهَمَّةِ مِنْ صِفَاتِ عِبَادِ الرَّحْمَنِ

فَقَدْ أَخْبَرَ -تَعَالَى- عَنْ أَحْوَالِ الْخَلْقِ، وَأَنَّ الْجَمِيعَ يَسْأَلُونَهُ مَطَالِبَهُمْ، وَيَسْتَدْفِعُونَهُ مَا يُضُرُّهُمْ؛ وَلَكِنَّ هِمَمَهُمْ وَمَقَاصِدَهُمْ مُتَبَايِنَةٌ؛ فَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ: ﴿رَبَّنَا آئِنَا فِي الدُّنْيَا﴾؛ أَي: يَسْأَلُ رَبَّهُ مِنْ مَطَالِبِ دُنْيَاهُ وَشَهْوَاتِهِ فَقَطْ ﴿وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلْقٍ﴾ [البقرة: ٢٠٠]؛ لَا رَغْبَةَ لَهُ فِيهَا، وَلَا حَظَّ لَهُ مِنْهَا.

وَمِنْهُمْ عَالِي الْهَمَّةِ مَنْ يَدْعُو اللَّهَ لِمَصْلَحَةِ الدَّارَيْنِ، وَيَفْتَقِرُ إِلَى رَبِّهِ فِي مِهْمَاتِ دِينِهِ وَدُنْيَاهُ، وَكُلٌّ مِنْ هَؤُلَاءِ وَهَؤُلَاءِ لَهُ نَصِيبٌ مِنْ كَسْبِهِمْ وَعَمَلِهِمْ، وَسَيُجَازِيهِمُ اللَّهُ عَلَى حَسَبِ أَعْمَالِهِمْ وَنِيَّاتِهِمْ جَزَاءً دَائِرًا بَيْنَ الْفَضْلِ وَالْإِحْسَانِ وَالْكَرَمِ لِلْمَقْبُولِينَ، وَبَيْنَ الْعَدْلِ وَالْحِكْمَةِ لِغَيْرِهِمْ.

لَقَدْ وَصَفَ اللَّهُ عِبَادَهُ الْمُتَّقِينَ بِصِفَاتٍ تَعَكِّسُ عَلُوَّ هِمَمِهِمْ وَسُمُوَّ أَمَالِهِمْ، قَالَ رَبُّنَا تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا﴾ [الفرقان: ٦٣].

إِلَى أَنْ قَالَ جَلَّ وَعَلَا: ﴿وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا﴾ أَي: قَرَانِنَا؛ مِنْ أَصْحَابٍ، وَأَخِلَاءٍ، وَأَقْرَانٍ، وَرَوْجَاتٍ، ﴿وَدُرِّبْنَا فِرَّةً أَعْيِبَ﴾ أَي: تَقَرَّرَ بِهِمْ أَعْيُنُنَا، وَإِذَا اسْتَقْرَأْنَا حَالَهُمْ وَصِفَاتِهِمْ؛ عَرَفْنَا مِنْ عَلُوِّ هِمَمِهِمْ وَمَرَاتِبِهِمْ أَنَّ

مَقْصُودُهُمْ بِهَذَا الدُّعَاءِ لِذُرِّيَّاتِهِمْ: أَنْ يَطْلُبُوا مِنْهُ صِلَا حَهُمْ؛ فَإِنَّ صِلَا حَ الذُّرِّيَّةِ عَائِدٌ إِلَيْهِمْ وَإِلَى وَالِدِيهِمْ؛ لِأَنَّ النَّفْعَ يَعُودُ عَلَى الْجَمِيعِ؛ بَلْ صِلَا حَهُمْ يَعُودُ إِلَى نَفْعِ الْمُسْلِمِينَ عُمُومًا؛ لِأَنَّ بَصَلَا حِ الْمَذْكُورِينَ صِلَا حًا لِكُلِّ مَنْ لَهُ تَعَلُّقٌ بِهِمْ، ثُمَّ يَتَسَلَّلُ الصَّلَا حُ وَالْخَيْرُ.

﴿وَأَجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا﴾ [الفرقان: ٧٤]؛ أَي: أَوْصِلْنَا يَا رَبَّنَا إِلَى هَذِهِ الدَّرَجَةِ الْعَالِيَةِ؛ دَرَجَةِ الصَّادِقِينَ وَالْكَامِلِ مِنْ عِبَادِ اللَّهِ الصَّالِحِينَ، وَهِيَ دَرَجَةُ الْإِمَامَةِ فِي الدِّينِ، وَأَنْ يَكُونُوا قُدُورًا لِلْمُتَّقِينَ فِي أَقْوَالِهِمْ وَأَفْعَالِهِمْ، يُقْتَدَى بِأَقْوَالِهِمْ وَأَفْعَالِهِمْ، وَيُطْمَأَنُّ إِلَيْهَا؛ لِثِقَةِ الْمُتَّقِينَ بِعِلْمِهِمْ وَدِينِهِمْ، وَيَهْتَدِي الْمُهْتَدُونَ بِهِمْ.

فَلِلَّهِ مَا أَعْلَى هَذِهِ الصِّفَاتِ، وَأَرْفَعَ هَذِهِ الْهَمَمِ، وَأَجَلَّ هَذِهِ الْمَطَالِبِ، وَأَزْكَى تِلْكَ النُّفُوسِ!!

عِبَادَ اللَّهِ! إِنَّ وَقُوفَ هِمَّةِ الْعَبْدِ عِنْدَ مُرَادِ نَفْسِهِ فَقَطْ مِنْ ضَعْفِ الْهِمَّةِ؛ وَلِهَذَا لَا مَهْمُ اللَّهِ عَلَى عَدَمِ اهْتِمَامِهِمْ بِأَحْوَالِ الْخَلْقِ الْمُحْتَاجِينَ، فَقَالَ: ﴿كَلَّا بَلْ لَا تُكْرِمُونَ الْيَتِيمَ﴾ [الفجر: ١٧] الَّذِي فَقَدَ أَبَاهُ وَكَاسِبَهُ، وَاحْتَا جَ إِلَى جَبْرِ خَا طِرِهِ وَالْإِحْسَانِ إِلَيْهِ.

فَأَنْتُمْ لَا تُكْرِمُونَهُ؛ بَلْ تُهَيِّنُونَهُ، وَهَذَا يَدُلُّ عَلَى عَدَمِ الرَّحْمَةِ فِي قُلُوبِكُمْ، وَعَدَمِ الرَّغْبَةِ فِي الْخَيْرِ.



التَّرْغِيبُ فِي عَلُوِّ الْهَمَّةِ فِي الْقُرْآنِ وَالسُّنَّةِ

«إِنَّ عَلُوَّ الْهَمَّةِ خُلُقٌ رَفِيعٌ وَعَايَةٌ نَبِيلَةٌ، تَتَعَشَّقُهُ النَّفُوسُ الْكَرِيمَةُ، وَتَهْفُو إِلَيْهِ الْفِطْرَةُ الْقَوِيمَةُ، وَعَلُوُّ الْهَمَّةِ مِنَ الْأُسُسِ الْأَخْلَاقِيَّةِ الْفَاضِلَةِ، وَإِلَيْهِ تَرْجِعُ مَجْمُوعَةٌ مِنَ الظَّوَاهِرِ الْخُلُقِيَّةِ؛ كَالْجَدِّ فِي الْأُمُورِ، وَالتَّرْفَعِ عَنِ الصَّغَائِرِ وَالدَّنَايَا، وَكَالطُّمُوحِ إِلَى الْمَعَالِي»^(١).

وَالْإِسْلَامُ يَحْتُ عَلَى هَذَا الْخُلُقِ النَّبِيلِ، وَقَدْ وَرَدَتْ آيَاتٌ مِنَ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ تَدُلُّ عَلَى ذَلِكَ، وَمِنْهَا: قَوْلُهُ جَلَّ وَعَلَا: ﴿وَسَارِعُوا إِلَى مَعْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾^(١٣٣) الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكُظُمِينَ الْغَيْظِ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ ۗ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴿[آل عمران: ١٣٣-١٣٤].

وَيَقُولُ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿أُولَئِكَ يُسْرِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَهُمْ لَهَا سَابِقُونَ﴾ [المؤمنون:

[٦١].

وَأَمَرَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى بِاسْتِبَاقِ الْخَيْرَاتِ: ﴿وَلِكُلِّ وِجْهَةٍ هُوَ مُوَلِّبٌ فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ أَيْنَ مَا تَكُونُوا يَأْتِ بِكُمْ اللَّهُ جَمِيعًا إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [البقرة: ١٤٨].

(١) «الهمة العالية: معوقها ومقوماتها»: الباب الثاني: الفصل الأول: فضل علو الهمة، (ص ١١١).

فِي آيَاتٍ كَثِيرَةٍ أَمَرَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى فِيهَا بِالْمُسَارَعَةِ فِي الْخَيْرَاتِ وَالْمُسَابَقَةِ إِلَيْهَا، وَبَيَّنَّ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى أَنَّ التَّوَانِيَّ فِي طَلَبِ الْخَيْرِ لَيْسَ بِالْخَيْرِ، وَأَنَّ الْإِسْرَاعَ فِي طَلَبِ الْخَيْرِ هُوَ الْخَيْرُ، وَأَنَّ الْإِنْسَانَ يَنْبَغِي لَهُ أَنْ يَكُونَ مُسَارِعًا فِي تَحْصِيلِ الْمَغْفِرَةِ بِأَسْبَابِهَا وَشُرُوطِهَا؛ وَإِلَّا كَانَ مِنَ الْمُقْصِرِينَ.

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُو الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ﴾ [الأحقاف: ٣٥].

فَاصْبِرْ - أَيُّهَا الرَّسُولُ - عَلَى تَكْذِيبِ قَوْمِكَ لَكَ مِثْلَمَا صَبَرَ أُولُو الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ.

فَإِنَّ النُّفُوسَ الْأَبِيَّةَ وَالْهَمَمَ الْعَلِيَّةَ لَا تَرْضَى لِأَنْفُسِهَا بَغَيْرِ هَذَا الْخُلُقِ الْفَاضِلِ - وَهُوَ الصَّبْرُ - الَّذِي هُوَ أَعْلَى الْأَخْلَاقِ وَأَنْفَعُهَا.

وَقَدْ ضَمِنَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى جَزِيلَ الْأَجْرِ لِمَنْ سَعَى وَجَدَّ وَاجْتَهَدَ فِي عِبَادَتِهِ، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ وَسَعَى لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ كَانَ سَعْيُهُمْ مَشْكُورًا﴾ [الإسراء: ١٩].

وَقَدْ وَرَدَتْ فِي السُّنَّةِ النَّبَوِيَّةِ الْمُظَهَّرَةِ كَثِيرٌ مِنَ النُّصُوصِ الدَّالَّةِ عَلَى أَهَمِّيَّةِ عَلُوِّ الْهَمَّةِ، وَالْحَثِّ عَلَى التَّحَلِّيِّ بِهَا؛ فَإِنَّ النَّبِيَّ ﷺ يَسْتَنْفِرُ الْهَمَمَ: «إِذَا سَأَلْتُمُ اللَّهَ الْجَنَّةَ؛ فَاسْأَلُوهُ الْفِرْدَوْسَ الْأَعْلَى؛ فَإِنَّهُ أَعْلَى الْجَنَّةِ وَأَوْسَطُهَا»^(١).

وَعَنْ رَبِيعَةَ بِنِ كَعْبِ الْأَسْلَمِيِّ رضي الله عنه قَالَ: كُنْتُ أَبِيْتُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَأَتَيْتُهُ بِوَضُوئِهِ وَحَاجَّتِهِ، فَقَالَ لِي: «سَلْ».

(١) أخرجه البخاري: (٦ / ١١)، رقم (٢٧٩٠) و (١٣ / ٤٠٤)، رقم (٧٤٢٣)، من حديث:

أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه.

فَقُلْتُ: أَسْأَلُكَ مُرَافَقَتَكَ فِي الْجَنَّةِ.

فَقَالَ: «أَوْ غَيْرَ ذَلِكَ؟!».

قُلْتُ: هُوَ ذَاكَ.

قَالَ: «فَاعِنِّي عَلَى نَفْسِكَ بِكَثْرَةِ السُّجُودِ»^(١).

وَحَثَّ النَّبِيُّ ﷺ عَلَى عَلُوِّ الْهَمَّةِ فِي اسْتِغْلَالِ نِعْمَتِي الصَّحَّةِ وَالْفَرَاعِ، يَقُولُ
 ﷺ: «نِعْمَتَانِ مَغْبُونٌ»^(٢) فِيهِمَا كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ: الصَّحَّةُ وَالْفَرَاعُ»^(٣).

وَفِي الْحَدِيثِ الَّذِي أَخْرَجَهُ الْإِمَامُ مُسْلِمٌ فِي «الصَّحِيحِ»^(٤)، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ
 رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «الْمُؤْمِنُ الْقَوِيُّ خَيْرٌ وَأَحَبُّ إِلَى اللَّهِ مِنَ الْمُؤْمِنِ
 الضَّعِيفِ، وَفِي كُلِّ خَيْرٍ، احْرِصْ عَلَى مَا يَنْفَعُكَ، وَاسْتَعِنْ بِاللَّهِ، وَلَا تَعْجِزْ».

(١) أخرجه مسلم: (١ / ٣٥٣، رقم ٤٨٩)، من حديث: ربيعة بن كعب الأسلمي رضي الله عنه.
 (٢) (الغبين) بالكسر كلمة تدل على ضعف وهضم في الرأي والعقل والدين، يقال: غبن رأيه إذا نقصه فهو غبين ومغبون، أي: ضعيف الرأي، انظر: «الصحاح» (٦ / ٢١٧٢)،
 و«مقاييس اللغة» (٤ / ٤١١) مادة: (غبن).

قال ابن الجوزي في «كشف المشكل» (٢ / ٤٣٧ - ٤٣٨، رقم ٩٨٢): «اعلم أنه قد يكون الإنسان صحيحاً ولا يكون متفرغاً للعبادة لاشتغاله بأسباب المعاش، وقد يكون متفرغاً من الأشغال ولا يكون صحيحاً، فإذا اجتمعاً للعبدة ثم غلب عليه الكسل عن نبيل الفضائل فذاك الغبن، كيف والدنيا سوق الرباح، والعمر أقصر، والعوائق أكثر».

(٣) أخرجه البخاري في «صحيحه» (رقم ٦٤١٢)، من حديث: ابن عباس رضي الله عنهما.

(٤) «صحيح مسلم» (رقم ٢٦٦٤).

فَاخْرِصْ - أَيُّهَا الْمُسْلِمُ - عَلَى أَوْقَاتِكَ وَسَاعَاتِكَ؛ حَتَّى لَا تَضِيعَ سُدَى،
وَأَجْعَلَ لَكَ نَصِيبًا مِنْ حَدِيثِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ: «اغْتَنِمْ خَمْسًا قَبْلَ خَمْسٍ: حَيَاتَكَ
قَبْلَ مَوْتِكَ، وَصِحَّتَكَ قَبْلَ سَقَمِكَ، وَفَرَاغَكَ قَبْلَ شُغْلِكَ، وَشَبَابَكَ قَبْلَ هَرَمِكَ،
وَغِنَاكَ قَبْلَ فَقْرِكَ». أَخْرَجَهُ الْحَاكِمُ، وَصَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ (١).

وَاخْرِصْ أَنْ تَكُونَ مِنْ خِيَارِ النَّاسِ، كَمَا حَثَّ عَلَى ذَلِكَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ؛
فَعَنْ أَبِي بَكْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ رَجُلًا قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ! أَيُّ النَّاسِ خَيْرٌ؟
قَالَ ﷺ: «مَنْ طَالَ عُمُرُهُ، وَحَسُنَ عَمَلُهُ».

قَالَ: فَأَيُّ النَّاسِ شَرٌّ؟

قَالَ ﷺ: «مَنْ طَالَ عُمُرُهُ، وَسَاءَ عَمَلُهُ». أَخْرَجَهُ التِّرْمِذِيُّ، وَصَحَّحَهُ
الْأَلْبَانِيُّ (٢).

وَعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «إِنْ قَامَتِ السَّاعَةُ وَفِي يَدِ أَحَدِكُمْ
فَسِيلَةٌ؛ فَإِنْ اسْتَطَاعَ إِلَّا يَقُومَ حَتَّى يَغْرِسَهَا فَلْيَغْرِسْهَا» (٣). وَالْحَدِيثُ صَحِيحٌ،
أَخْرَجَهُ أَحْمَدُ، وَعَبْدُ بْنُ حُمَيْدٍ.

(١) أَخْرَجَهُ ابْنُ أَبِي الدُّنْيَا فِي «قَصْرِ الْأَمَلِ» (رَقْم ١١١)، وَالْحَاكِمُ فِي «الْمُسْتَدْرَكِ» (٤/

٣٠٦، رَقْم ٧٨٤٦)، وَالْبَيْهَقِيُّ فِي «شُعَبِ الْإِيمَانِ» (١٢/ رَقْم ٩٧٦٧)، مِنْ حَدِيثِ: ابْنِ

عَبَّاسٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لِرَجُلٍ وَهُوَ يَعْطُهُ: «اغْتَنِمْ خَمْسًا قَبْلَ خَمْسٍ...»

الْحَدِيثُ، وَصَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «صَحِيحِ التَّرْغِيبِ وَالتَّرْهيبِ» (٣/ رَقْم ٣٣٥٥).

(٢) أَخْرَجَهُ التِّرْمِذِيُّ فِي «جَامِعِهِ» (رَقْم ٢٣٣٠)، وَقَالَ: «هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ»،

وَصَحَّحَهُ لِغَيْرِهِ الْأَلْبَانِيُّ فِي «صَحِيحِ التَّرْغِيبِ وَالتَّرْهيبِ» (٣/ رَقْم ٣٣٦٣).

(٣) أَخْرَجَهُ الطَّبَايِسِيُّ (٢١٨١)، وَأَحْمَدُ (١٢٩٠٢) (١٢٩٨١)، وَعَبْدُ بْنُ حُمَيْدٍ

(١٢١٦)، وَالْبَزَّازُ (٧٤٠٨)، وَأَبُو بَكْرِ بْنُ الْخَلَّالِ فِي «الْحَثِّ عَلَى التَّجَارَةِ» (٧٤)،

وَحَثَّ النَّبِيُّ ﷺ عَلَى التَّحَلِّيِ بِعُلُوِّ الْهَمَّةِ فِي الْعِبَادَاتِ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «سَبَقَ الْمُفْرَدُونَ».

قَالُوا: وَمَا الْمُفْرَدُونَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟

قَالَ: «الذَّاكِرُونَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتُ»^(١).

وَفِي «الصَّحِيحَيْنِ»^(٢) - وَاللَّفْظُ لِلْبُخَارِيِّ - عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «صَلَاةُ الرَّجُلِ فِي الْجَمَاعَةِ تَضَعُفُ عَلَى صَلَاتِهِ فِي بَيْتِهِ وَفِي سُوقِهِ خَمْسًا وَعِشْرِينَ ضِعْفًا».

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ أَصْبَحَ مِنْكُمْ الْيَوْمَ صَائِمًا؟».

قَالَ أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَا.

قَالَ: «مَنْ أَطْعَمَ مِنْكُمْ الْيَوْمَ مِسْكِينًا؟».

قَالَ أَبُو بَكْرٍ: أَنَا.

قَالَ: «مَنْ تَبَعَ مِنْكُمْ الْيَوْمَ جَنَازَةً؟».

وَأَبْنُ الْأَعْرَابِيِّ فِي «الْمُعْجَمِ» (١٧٩)، وَأَبْنُ عَدِيٍّ فِي «الْكَامِلِ» (٦ / ٧٥) (١٢٠٨)، مِنْ طَرِيقِ: هِشَامِ بْنِ زَيْدٍ، عَنْ أَنَسٍ، بِهِ. وَصَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «الصَّحِيحَةِ» (٩).

(١) «صحيح مسلم» (رقم ٢٦٧٦).

(٢) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ (٢ / ١٣١، رَقْمَ ٦٤٧)، وَاللَّفْظُ لَهُ، وَمُسْلِمٌ (١ / ٤٥٠، رَقْمَ ٦٤٩).

قَالَ أَبُو بَكْرٍ: أَنَا.

فَقَالَ: «مَنْ عَادَ الْيَوْمَ مَرِيضًا؟».

قَالَ أَبُو بَكْرٍ: أَنَا.

فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَا اجْتَمَعَتْ هَذِهِ الْخِصَالُ قَطُّ فِي رَجُلٍ فِي يَوْمٍ إِلَّا دَخَلَ الْجَنَّةَ». رَوَاهُ مُسْلِمٌ (١).

وَقَدْ أَخْبَرَ النَّبِيُّ ﷺ - فِي الْحَدِيثِ الصَّحِيحِ الَّذِي رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ فِي «جَامِعِهِ»، وَحَسَنَهُ الْأَلْبَانِيُّ -: «إِنَّ اللَّهَ كَرِيمٌ يُحِبُّ الْكُرَمَاءَ، جَوَادٌ يُحِبُّ الْجَوَادَةَ، يُحِبُّ مَعَالِيَ الْأُمُورِ، وَيَكْرَهُ سَفْسَافَهَا» (٢).



(١) أخرجه مسلم في «الصحیح»: (٢/٧١٣، رقم ١٠٢٨) و(٤/١٨٥٧).

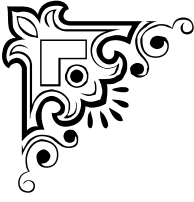
(٢) أخرجه الترمذي في «الجامع»: (٥/١١١، رقم ٢٧٩٩م)، وابن أبي الدنيا في «مكارم الأخلاق» ضمن موسوعة ابن أبي الدنيا الحديثية: (٦/٧٠ و٧١، رقم (٨)، وابن عساکر في «تاریخ دمشق»: (١٤/٢٨٨ و٢٨٩، ترجمة (١٥٨٥) واللفظ له، من حديث: سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَاصٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وفي رواية: «إِنَّ اللَّهَ كَرِيمٌ يُحِبُّ الْكُرَمَ، جَوَادٌ يُحِبُّ الْجَوَادَ...»، وفي أخرى: «إِنَّ اللَّهَ طَيِّبٌ يُحِبُّ الطَّيِّبَ، نَظِيفٌ يُحِبُّ النَّظَافَةَ، كَرِيمٌ يُحِبُّ الْكُرَمَ، جَوَادٌ يُحِبُّ الْجَوَادَ، فَتَظْفُوا أَفْنِيَتَكُمْ وَلَا تَشَبَّهُوا بِالْيَهُودِ».

قال الترمذي: «هَذَا حَدِيثٌ غَرِيبٌ»، والحديث حسنه الألباني في هامش «المشكاة»:

٢/١٢٧١ و١٢٧٢، رقم (٤٤٨٧)، وروي أيضا عن سهل بن سعد وجابر والحسن بن

علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، وَعَنْ طَلْحَةَ بْنِ كَرِيزِ الْخَزَاعِيِّ مَرْسَلًا، بِنَحْوِهِ.



سُبُلُ عَلُوِّ الْهَمَّةِ

إِنَّ عَلُوَّ الْهَمَّةِ يَخْتِاجُ إِلَى جَهْدٍ وَمُصَابَرَةٍ، وَلَهَا أَسْبَابٌ عَلَى الْمُسْلِمِ أَنْ يَلْتَمِسَهَا،
وَسُبُلٌ عَلَيْهِ أَنْ يَسْلُكَهَا، وَمِنْهَا:

* تَحْقِيقُ التَّوْحِيدِ؛ فَالتَّوْحِيدُ يُسَهِّلُ عَلَى الْعَبْدِ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ، وَتَرْكَ
الْمُنْكَرَاتِ، وَيَسَلِّهُ عَنِ الْمَصِيبَاتِ، فَالْمُخْلِصُ لِلَّهِ فِي إِيمَانِهِ وَتَوْحِيدِهِ تَخَفُّ
عَلَيْهِ الطَّاعَاتُ؛ لِمَا يَرْجُو مِنْ ثَوَابِ رَبِّهِ وَرِضْوَانِهِ، وَيَهُونُ عَلَيْهِ تَرْكُ مَا تَهْوَاهُ
النَّفْسُ مِنَ الْمَعَاصِي؛ لِمَا يَخْشَى مِنْ سُخْطِهِ وَعِقَابِهِ.

* وَمِنْ أَعْظَمِ سُبُلِ عَلُوِّ الْهَمَّةِ: الدُّعَاءُ؛ دُعَاءُ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى أَنْ يَجْعَلَكَ عَالِي
الْهَمَّةِ، وَاللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى يُحِبُّ مِنْ عِبَادِهِ أَنْ يَسْأَلُوهُ مِنْ خَيْرِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ،
وَكَانَ السَّلْفُ الصَّالِحُ يَسْأَلُونَ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى حَاجَتَهُمُ الدِّينِيَّةَ وَالدُّنْيَوِيَّةَ.

* مِنْ أَهَمِّ سُبُلِ عَلُوِّ الْهَمَّةِ: الاسْتِعَانَةُ بِاللَّهِ جَلَّ وَعَلَا، قَالَ ﷺ: «أَحْرَضَ عَلَيَّ مَا
يَنْفَعُكَ، وَاسْتَعِنَ بِاللَّهِ؛ لِتَكُنْ اسْتِعَانَتُكَ بِاللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى وَحُدَّهُ، «وَلَا تَعْجِزُ»^(١).

(١) تقدم تخريجه.

* وَمِنْ أَعْظَمِ السُّبُلِ الْمُوصِلَةِ لِعُلُوِّ الْهَمَّةِ: الْإِقْتِدَاءُ بِالْأَنْبِيَاءِ - عَلَيْهِمُ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ -، قَالَ رَبُّنَا جَلَّ وَعَلَا: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾ [الأحزاب: ٢١].

وَقَالَ اللَّهُ ﷻ: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَيُهْدِيهِمْ أَقْتَدَهُ﴾ [الأنعام: ٩٠].

* وَمِنْ سُبُلِ عُلُوِّ الْهَمَّةِ: عَزِيمَةُ النَّفْسِ، وَقُوَّةُ الْإِرَادَةِ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «الْمُؤْمِنُ الْقَوِيُّ خَيْرٌ وَأَحَبُّ إِلَيَّ مِنَ الْمُؤْمِنِ الضَّعِيفِ»^(١).

«الْمُؤْمِنُ الْقَوِيُّ»: يُرِيدُ بِالْقُوَّةِ هَاهُنَا: عَزِيمَةَ النَّفْسِ، وَقُدْرَتَهَا عَلَى أَنْ تُصَرِّفَ الْجَسَدَ مَعَهَا إِلَى طَاعَةِ اللَّهِ جَلَّ وَعَلَا.

* وَالْعِلْمُ أَحَدُ أَسْبَابِ عُلُوِّ الْهَمَّةِ؛ فَهُوَ يُرْسِدُ مَنْ طَلَبَهُ إِلَى مَصَالِحِهِ، وَيُدْفَعُهُ إِلَى الْعَمَلِ؛ لِأَنَّ الْعَمَلَ هُوَ ثَمَرَةُ الْعِلْمِ، وَهُوَ نَتِيجَةُ الْعِلْمِ، وَحَامِلُ الْعِلْمِ.

* وَمِنْ وَسَائِلِ عُلُوِّ الْهَمَّةِ: الصَّدَقُ مَعَ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى، قَالَ تَعَالَى: ﴿مَنْ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَن قَضَى نَجْبَهُ وَمِنْهُمْ مَن يَنْظُرُ وَمَا بَدَلُوا تَبْدِيلًا﴾ [الأحزاب: ٢٣].

* مِنْ أَهَمِّ سُبُلِ عُلُوِّ الْهَمَّةِ: التَّحَلِّيُّ بِالْجِدِّ وَالِاجْتِهَادِ فِي كُلِّ قَضَايَا الْحَيَاةِ، قَالَ تَعَالَى: ﴿يَجِيئُ حُذِّ الْكِتَابِ بِقُوَّةٍ وَأَيُّنَهُ الْحُكْمَ صَبِيحًا﴾ [مريم: ١٢].

* مِنْ أَعْظَمِ سُبُلِ عُلُوِّ الْهَمَّةِ: النَّظَرُ فِي سِيرِ السَّلَفِ الصَّالِحِينَ.

تَأَمَّلْ كَثِيرًا فِي سِيرِ سَلَفِكَ الصَّالِحِينَ؛ حَتَّى تَعْرِفَ الرِّجَالَ بِحَقِّ، وَحَتَّى تَعْرِفَ مَثَلَكَ الْحَقَّ.

(١) تقدم تخريجه.

لِتَكُنْ هِمَّتُكَ عَالِيَةً؛ كَالرَّجُلِ الَّذِي كَانَ يَقُولُ: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ أَنْ تَزْحَرَ حَيِّي عَنِ النَّارِ».

هَذَا مِنْ أَعْظَمِ مَا يَكُونُ مِنَ الْفَوْزِ؛ كَمَا قَالَ اللَّهُ جَلَّ وَعَلَا: ﴿فَمَنْ زُحِرَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ﴾ [آل عمران: ٨٥]، وَلَكِنْ إِذَا لَمْ يَزْحَرْ حَكَ؛ مَاذَا يَكُونُ الْعَمَلُ!!

* مِنَ السُّبُلِ الْعَظِيمَةِ لِعُلُوِّ الْهَمَّةِ: تَذَكُّرُ الْجَنَّةِ وَنَعِيمِهَا، وَالنَّارِ وَعَذَابِهَا؛ فَالِنَّاسُ لَوْ عَرَفُوا الْجَنَّةَ عَلَى حَقِيقَتِهَا؛ مَا نَامَ وَاحِدٌ مِنْهُمْ عَلَى فِرَاشِهِ لَيْلَةً؛ لِأَنَّ السَّلْفَ كَانُوا مُسْتَأَقِنِينَ إِلَى الْجَنَّةِ؛ حَتَّى إِنْ بَعْضُ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ كَانَ يَقُولُ: «وَاهَا لَكَ يَا رِيحَ الْجَنَّةِ!»، «إِنِّي لَأَجِدُ رِيحَ الْجَنَّةِ دُونَ أَحَدٍ»^(١)، ثُمَّ قَامَ إِلَى الْجِهَادِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ.

* وَمِنَ الْأَسْبَابِ الْعَظِيمَةِ لِلتَّحَلِّيِ بِالْهَمِّ الْعَالِيَةِ وَالنُّفُوسِ السَّامِيَةِ: الصُّحْبَةُ الصَّالِحَةُ الْمُعِينَةُ عَلَى الْخَيْرِ وَالْبِرِّ؛ فَقَدْ أَمَرَ اللَّهُ جَلَّ وَعَلَا نَبِيَّهُ مُحَمَّدًا ﷺ - وَغَيْرَهُ

(١) أَخْرَجَ الْبُخَارِيُّ فِي «الصَّحِيحِ»: (٢١/٦)، رَقْمَ (٢٨٠٥)، وَمُسْلِمٌ فِي «الصَّحِيحِ»:

(٣/١٥١٢، رَقْمَ (١٩٠٣)، مِنْ حَدِيثِ: أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ:

غَابَ عَمِّي أَنَسُ بْنُ النَّضْرِ عَنْ قِتَالِ بَدْرٍ، فَقَالَ: «يَا رَسُولَ اللَّهِ! غِبْتُ عَنْ أَوَّلِ قِتَالٍ قَاتَلْتَ الْمُشْرِكِينَ، لَئِنْ اللَّهُ أَشْهَدَنِي قِتَالَ الْمُشْرِكِينَ لَيَرِيَنَّ اللَّهُ مَا أَصْنَعُ»، فَلَمَّا كَانَ يَوْمُ أَحُدٍ، وَانْكَشَفَ الْمُسْلِمُونَ، قَالَ: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَعْتَذِرُ إِلَيْكَ مِمَّا صَنَعَ هَؤُلَاءِ - يَعْنِي أَصْحَابَهُ - وَأَبْرَأُ إِلَيْكَ مِمَّا صَنَعَ هَؤُلَاءِ، - يَعْنِي الْمُشْرِكِينَ - ثُمَّ تَقَدَّمَ، فَاسْتَقْبَلَهُ سَعْدُ بْنُ مُعَاذٍ، فَقَالَ: «يَا سَعْدُ بْنُ مُعَاذٍ، الْجَنَّةُ وَرَبِّ النَّضْرِ إِنِّي أَجِدُ رِيحَهَا مِنْ دُونَ أَحَدٍ»، فَقَاتَلَهُمْ حَتَّى قُتِلَ، فَمَا عُرِفَ حَتَّى عَرَفْتَهُ أُخْتُهُ بِشَامَةٍ، وَبِهِ بَضْعٌ وَثَمَانُونَ مِنْ طَعْنَةٍ وَضَرْبَةٍ وَرَمِيَةٍ بِسَهْمٍ.

وَفِي رِوَايَةٍ، قَالَ: «وَاهَا لِرِيحِ الْجَنَّةِ أَجِدُهُ دُونَ أَحَدٍ».

أُسُوَّتُهُ فِي الْأَوَامِرِ وَالنَّوَاهِي - أَنْ يَصْبِرَ نَفْسَهُ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ الْعِبَادِ الْمُتَمَيِّنِينَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ؛ أَي: أَوَّلِ النَّهَارِ وَآخِرِهِ، يُرِيدُونَ بِذَلِكَ وَجْهَ اللَّهِ.

فَوَصَفَهُمْ بِالْعِبَادَةِ، وَالْإِخْلَاصِ فِيهَا.

* مِنْ سُبُلِ عَلُوِّ الْهَمَّةِ: اسْتِشْعَارُ الْمَسْئُولِيَّةِ، وَتَحْمَلُ الْأَمَانَةِ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ

ﷺ: «كُلُّكُمْ رَاعٍ، وَكُلُّكُمْ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ»^(١).

* مِنَ السُّبُلِ الْمُهَمَّةِ لِعُلُوِّ الْهَمَّةِ: تَرْبِيَةُ النَّشءِ عَلَى تَحْمَلِ تَكَايِفِ الْإِسْلَامِ:

عَلَى أَوْلِيَاءِ الْأُمُورِ أَنْ يُرَاعُوا أَبْنَاءَهُمْ فِي صِغَرِهِمْ، وَيُرَبُّوهُمْ عَلَى تَحْمَلِ تَكَايِفِ الْإِسْلَامِ؛ حَتَّى تَسَهَّلَ عَلَى نَفْسِهِمْ، وَيَنْشِئُوا عَلَى حُبِّهَا، وَيَدَاوَمُوا عَلَيْهَا.

وَقَدْ صَحَّ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «مُرُوا أَبْنَاءَكُمْ بِالصَّلَاةِ وَهُمْ أَبْنَاءُ سَبْعِ سِنِينَ، وَاضْرِبُوهُمْ عَلَيْهَا وَهُمْ أَبْنَاءُ عَشْرِ سِنِينَ، وَفَرِّقُوا بَيْنَهُمْ فِي الْمَضَاجِعِ»^(٢). رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ، وَغَيْرُهُ.

وَقَدْ كَانَ الرَّسُولُ ﷺ وَالصَّحَابَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ يَقُومُونَ بِتَرْبِيَةِ النَّاشِئَةِ عَلَى الْأَدَبِ الْكَرِيمِ، وَعَلَى التَّرَامِ أَحْكَامِ الْإِسْلَامِ الْعَظِيمِ.



(١) أخرجه البخاري في «الصحیح»: (٨ / ١٤١، رقم ٨٩٣)، ومسلم في «الصحیح»: (٣/

١٤٥٩، رقم ١٨٢٩)، من حديث: ابنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

(٢) تقدم تخريجه.

أَسْبَابُ دُنُوِّ الْهِمَّةِ

عِبَادَ اللَّهِ! فَكَمَا أَنَّ لِعُلُوِّ الْهِمَّةِ أَسْبَابًا تَلْتَمَسُ وَسُبُلًا تُرْتَقَى؛ فَلِدُنُوِّ الْهِمَّةِ طَرَائِقُ
تُحَذَّرُ وَوَسَائِلُ تُجْتَنَّبُ، وَمِنْ أَسْبَابِ دُنُوِّ الْهِمَّةِ وَانْحِطَاطِهَا:

* الهم والحزن، والعجز والكسل؛ «ففي» (الصحيحين) (١) عن رسول الله ﷺ،
أنه كان يستعبد بالله تبارك وتعالى من الهم والحزن، وكان يقول ﷺ في دعائه:
«اللهم إني أعوذ بك من الهم والحزن، والعجز والكسل، والجبن والبخل،
وضلع الدين وغلبة الرجال».

النبي ﷺ جعل الحزن مما يستعاض منه؛ وذلك لأن الحزن يضعف القلب،
ويوهن العزم، ويغير الإرادة، فلا شيء أحب إلى الشيطان من حزن المؤمن، قال
تعالى: ﴿ إِنَّمَا النَّجْوَى مِنَ الشَّيْطَانِ لِيَحْزُنَ الَّذِينَ ءَامَنُوا ﴾ [المجادلة: ١٠] (٢).

(١) أخرجه البخاري: (٦/٣٥-٣٦، رقم ٢٨٢٣) واللفظ له، ومسلم: (٤/٢٠٧٩، رقم ٢٧٠٦)، من حديث: أنس رضي الله عنه.

ولفظ مسلم: «اللهم إني أعوذ بك من العجز، والكسل، والجبن، والهرم، والبخل،
وأعوذ بك من عذاب القبر، ومن فتنة المحيا والممات»، وفي رواية: «اللهم إني أعوذ
بك من البخل، والكسل، وأرذل العمر، وعذاب القبر، وفتنة المحيا والممات».

(٢) «طريق الهجرتين وباب السعادتين»: (٢/٦٠٦ - ٦٠٧).

فَالْحَزَنُ مَرَضٌ مِنْ أَمْرَاضِ الْقَلْبِ، يَمْنَعُهُ مِنْ نُهُوضِهِ وَسَيْرِهِ وَتَشْمِيرِهِ.

* وَمِنْ أَسْبَابِ دُنُو الْهَمَّةِ: حُبُّ الدُّنْيَا؛ فَإِنَّ الْقَلْبَ إِذَا تَشَتَّتَ إِرَادَتُهُ، وَتَوَزَّعَتْ هِمَّتُهُ، وَضَعْفَتْ نَيْتُهُ، وَشَغِلَ بِهَذَا وَهَذَا، وَتَلَكَّ وَتَلَكَّ، وَمَا هُنَالِكَ مِنْ أَمْرِ الدُّنْيَا وَزِينَتِهَا؛ فَأَيْنَ يَجِدُ قُوَّةً عَلَى سَيْرِهِ إِلَى رَبِّهِ، وَأَوْبِيَّتِهِ إِلَى خَالِقِهِ!!؟

* وَمِنْ أَسْبَابِ دُنُو الْهَمَّةِ وَانْحِطَاطِهَا: الْعَفْلَةُ عَنِ ذِكْرِ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى، وَالتَّعَلُّقُ الْمُحَرَّمُ، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا﴾ [طه: ١٢٤].

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَنْ يَعِشْ عَنِ ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نُقِضْ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ﴾

[الزخرف: ٣٦].

* وَمِنْ أَسْبَابِ مَوْتِ الْهَمَّةِ: الْيَأْسُ وَالْقُنُوطُ مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى.

* وَمِنْ أَسْبَابِ دُنُو الْهَمَّةِ: الْمَعَاصِي، فَ«الْمَعَاصِي تُضْعِفُ الْقَلْبَ، وَمِنْ عُقُوبَتِهَا: أَنَّهَا تُضْعِفُ سَيْرَ الْقَلْبِ إِلَى اللَّهِ وَالِدَارِ الْآخِرَةِ، أَوْ تَعُوقُهُ، أَوْ تُوَقِّفُهُ وَتَقْطَعُهُ عَنِ السَّيْرِ؛ فَلَا تَدْعُهُ يَخْطُو إِلَى اللَّهِ خُطْوَةً، هَذَا إِنْ لَمْ تَرُدَّهُ عَنِ وَجْهَتِهِ إِلَى وَرَائِهِ، فَالذَّنْبُ يَحْجِبُ الْوَاصِلَ، وَيَقْطَعُ السَّائِرَ، وَيُنْكَسُ الطَّالِبَ، وَالْقَلْبُ إِذَا يَسِيرُ إِلَى اللَّهِ بِقُوَّتِهِ، فَإِذَا مَرَضَ بِالذُّنُوبِ؛ ضَعْفَتْ تِلْكَ الْقُوَّةُ الَّتِي تُسِيرُهُ، فَإِنْ زَالَتْ بِالْكُلِّيَّةِ؛ انْقَطَعَ عَنِ اللَّهِ انْقِطَاعًا يَبْعُدُ تَدَارُكُهُ، وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ.

فَالذَّنْبُ إِذَا يُمِيتُ الْقَلْبَ، أَوْ يُمْرِضُهُ مَرَضًا مَخُوفًا، أَوْ يُضْعِفُ قُوَّتَهُ وَلَا

بُدًّا!!» (١).

(١) «الجواب الكافي»: (ص ١٧٨).

* وَمِنْ أَسْبَابِ مَوْتِ الْهَمَّةِ: التَّأَثُّرُ بِالْمُخَذِّلِينَ؛ فَالْجُبْنَاءُ الْمُرْجُفُونَ لَا تَرَى مِنْهُمْ
 إِعَانَةَ قَوْلِيَّةٍ وَلَا فِعْلِيَّةٍ وَلَا جِدِّيَّةٍ، قَالَ -تَعَالَى- فِيهِمْ وَفِي أَشْبَاهِهِمْ: ﴿لَوْ خَرَجُوا
 فِيكُمْ مَا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالًا وَلَا أُضْعَفُوا لَكُمُ يَغْوَنَكُمُ الْفِنَنَةَ وَفِيكُمْ سَمَّعُونَ
 لَهُمْ﴾ [التوبة: ٤٧]؛ أَي: يَسْتَجِيبُونَ لَهُمْ؛ تَغْرِيرًا أَوْ اغْتِرَارًا.

* وَمِنْ أَسْبَابِ ضَعْفِ الْهَمَّةِ: الصُّحْبَةُ الْفَاسِدَةُ.



مَظَاهِرُ عُلُوِّ الِهْمَةِ فِي حَيَاةِ الْمُسْلِمِ

إِنَّ حَيَاةَ الْمُسْلِمِ كُلَّهَا تَحْتَاجُ إِلَى الِهْمَةِ الْعَالِيَةِ، قَالَ تَعَالَى: ﴿هُوَ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ
وَأَسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا﴾ [هود: ٦١]؛ أَي: جَعَلَكُمْ فِيهَا لِتَعْمُرُوهَا، وَمَكَّنَكُمْ بِمَا آتَاكُمْ مِنْ
عِمَارَتِهَا.

قَالَ رَبُّنَا - جَلَّتْ قُدْرَتُهُ - فِي الْكِتَابِ الْعَزِيزِ: ﴿وَقُلْ أَعْمَلُوا فَسِرِّي اللَّهُ عَمَلِكُمْ
وَرَسُولُهُ، وَالْمُؤْمِنُونَ سَرُدُونَ إِلَى عَلِيمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيَنْتَقِمُ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾
[التوبة: ١٠٥].



مِنْ مَظَاهِرِ عُلُوِّ الْهَمَّةِ فِي الْحَيَاةِ:
عُلُوِّ الْهَمَّةِ فِي طَلَبِ الْعِلْمِ

إِنَّ مِنْ أَعْظَمِ مَيَادِينِ عُلُوِّ الْهَمَّةِ: مَيْدَانَ الْعِلْمِ، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾ [طه: ١١٤].

فَلَوْ كَانَ شَيْءٌ أَشْرَفَ مِنَ الْعِلْمِ؛ لِأَمْرِ اللَّهِ تَعَالَى نَبِيَّهُ ﷺ أَنْ يَسْأَلَهُ الْمَزِيدَ مِنْهُ كَمَا أَمَرَ أَنْ يَسْتَزِيدَهُ مِنَ الْعِلْمِ.

وَكَانَ مِنْ دُعَاءِ النَّبِيِّ ﷺ: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ عِلْمًا نَافِعًا، وَرِزْقًا طَيِّبًا، وَعَمَلًا مُتَقَبَّلًا» (١).

وَبَيَّنَ لَنَا ﷺ: «مَنْهُمَانِ لَا يَشْبَعَانِ: طَالِبُ عِلْمٍ، وَطَالِبُ مَالٍ» (٢).

(١) أَخْرَجَهُ ابْنُ مَاجَهَ (٩٢٥)، وَابْنُ السُّنِّيِّ فِي «عَمَلِ الْيَوْمِ وَاللَّيْلَةِ» (٥٣) عَنْ أُمِّ سَلَمَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: «أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ يَقُولُ إِذَا صَلَّى الصُّبْحَ حِينَ يُسَلِّمُ: ...».

(٢) أَخْرَجَهُ ابْنُ عَدِي فِي «الْكَامِلِ» (٧ / ٥٥٧ - ٥٥٨، ترجمة ١٧٨٤)، وَالْحَاكِمُ فِي «الْمُسْتَدْرَكِ» (١ / ٩٢ - ٩٣، رقم ٣١٢)، وَابِيهَيْقِي فِي «الْمَدْخَلِ» (رقم ٤٥٠، و ٤٥١)، وَفِي «شُعَبِ الْإِيمَانِ» (١٢ / رقم ٩٧٩٨)، وَالشَّجَرِيُّ فِي «الْأَمَالِيِّ - ذِمَّ الْاِقْتِصَارِ عَلَى الدُّنْيَا» (٢ / ١٩٦)، وَابْنُ عَسَاكِرٍ فِي «تَارِيخِهِ» (٤١ / ٢٨٦، ترجمة ٤٨٢٠)، وَابْنُ

إِنَّ مِنْ أَعْظَمِ سُبُلِ طَلَبِ الْعِلْمِ: عُلُوُّ الْهَمَّةِ؛ فَمِمَّا يَنْبَغِي أَنْ يُرَاعَى مِنْ طَرَائِقِ تَحْصِيلِ الْعِلْمِ: أَنَّهُ يَنْبَغِي لِلْمُتَعَلِّمِ أَنْ يَطْلُبَ الْعِلْمَ؛ مَهْمَا امْتَدَّ بِهِ الْعُمْرُ، فَعَلَى الْمُتَعَلِّمِ أَنْ يَطْلُبَ الْعِلْمَ؛ مَهْمَا بَلَغَ مِنَ الْعُمْرِ، وَمَهْمَا كَانَ لَهُ مِنَ الْعِلْمِ وَالرَّئَاسَةِ وَالْجَاهِ، وَقَانُونُ الْعُلَمَاءِ فِي الطَّلَبِ هُوَ: «مَعَ الْمَحْبَرَةِ إِلَى الْمَقْبَرَةِ»، وَ«الْعِلْمُ مِنَ الْمَهْدِ إِلَى اللَّحْدِ».

قَالَ الْإِمَامُ الْبُخَارِيُّ -رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى- (١): «وَقَدْ تَعَلَّمَ أَصْحَابُ النَّبِيِّ ﷺ وَالرِّسَالَةَ فِي كِبَرِ سِنِهِمْ».

وَقَدْ قِيلَ لِابْنِ الْمُبَارَكِ رَحِمَهُ اللَّهُ: «إِلَى مَتَى تَطْلُبُ الْعِلْمَ؟».

قَالَ: «حَتَّى الْمَمَاتِ -إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى-».

وَقِيلَ لَهُ مَرَّةً أُخْرَى مِثْلُ ذَلِكَ؛ فَقَالَ: «لَعَلَّ الْكَلِمَةَ الَّتِي تَنْفَعُنِي لَمْ أَكْتُبَهَا بَعْدُ» (٢).

الجوزي في «العلل المتناهية» (١ / رقم ١١٣)، من طرق: عن أنس، قال: قال رسول الله ﷺ: «مَنْهُومَانِ لَا يَشْبَعَانِ طَالِبُ عِلْمٍ وَطَالِبُ دُنْيَا»، وصححه الألباني في «المشكاة» (٢٦٠)، وفي «صحيح الجامع» (٦٦٢٤).

(١) «صحيح البخاري»: كتاب العلم: بَابُ الْإِعْتِبَاطِ فِي الْعِلْمِ وَالْحِكْمَةِ، (١ / ١٦٥).
 (٢) أخرجه ابن أبي حاتم في مقدمة «الجرح والتعديل»: باب ما ذكر من ورع ابن المبارك وزهده، (١ / ٢٨٠)، وابن سمعون في «الأمالي» (ص ١٦١، رقم ١٢٦)، وابن عبد البر في «جامع بيان العلم وفضله»: (١ / ٤٠٦، رقم ٥٨٦) والسياق له، والخطيب في «الجامع لأخلاق الراوي»: (٢ / ٢١٩-٢٢٠، رقم ١٦٦٧ و١٦٦٨)، وفي «شرف

عَلَى الْإِنْسَانِ أَنْ يَطْلُبَ الْعِلْمَ عُمُرَهُ، وَأَلَّا يَتَوَانَى فِي الطَّلَبِ؛ عَسَى اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى أَنْ يُهَيِّئَ لَهُ مِنْ أَمْرِهِ رَشْدًا.

وَلَمْ يَمْنَعْ عَلُوَ الرَّتْبَةِ وَلَا ارْتِفَاعُ الْمَقَامِ مُوسَى - عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ -، وَلَا مَنَعَهُ سِنُهُ أَنْ يَخْرُجَ لِلِقَاءِ الْعَبْدِ الصَّالِحِ لَمَّا أَخْبَرَهُ اللَّهُ - تَعَالَى - أَنْ عِنْدَهُ عِلْمًا لَيْسَ يَعْلَمُهُ، وَفِي «الصَّحِيحِ»^(١): «بَابُ: مَا ذَكَرَ فِي ذَهَابِ مُوسَى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ فِي الْبَحْرِ إِلَى الْخَضِرِ، وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿هَلْ أَتَيْتُكَ عَلَيَّ أَنْ تَعْلَمَ مِمَّا عَلِمْتَ رَشْدًا﴾ [الكهف: ٦٦].»

وَأَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ وَعُثْمَانُ وَغَيْرُهُمْ مِنْ أَكَابِرِ عُلَمَاءِ الصَّحَابَةِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَآلِهِمْ وَسَلَّمَ مَا أَسْلَمُوا إِلَّا وَهُمْ كِبَارٌ؛ وَلَكِنَّهُمْ أَقْبَلُوا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ يَنْهَلُونَ مِنْ بَحَارِ عِلْمِهِ؛ حَتَّى أَوْفُوا عَلَى الْغَايَةِ، وَبَلَغُوا الْمُتْتَهَى - رِضْوَانُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ أَجْمَعِينَ -.

وَأَخْرَجَ أَبُو خَيْثَمَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بِسَنَدِهِ^(٢) عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: «لَوْ أَنَّ عِلْمَ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَضِعَ فِي كِفَّةِ الْمِيزَانِ، وَوُضِعَ عِلْمُ أَهْلِ الْأَرْضِ فِي كِفَّةٍ؛ لَرَجَحَ عِلْمُ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ».

أصحاب الحديث: (ص ٦٨، رقم ١٤٣)، والهروي في «ذم الكلام وأهله»: (٥/٢١٦-٢١٧، رقم ١٠١٤)، وابن عساكر في «تاريخ دمشق»: (٣٢/٤٠٨ - ٤٠٩، ترجمة ٣٥٥٥)، بإسناد صحيح.

(١) «صحيح البخاري»: كتاب العلم، (١/١٦٧).

(٢) أخرجه زهير بن حرب في «العلم»: (ص ١٧، رقم ٦٠)، وأخرجه أيضا ابن سعد في «الطبقات الكبرى»: (٢/٣٣٦)، وابن أبي شيبة في «المصنف»: (٣٢٠٠٣)، والفسوي في

قَالَ الْأَلْبَانِيُّ^(١): «إِسْنَادُهُ صَحِيحٌ، وَكَذَا الَّذِي بَعْدَهُ».

وَهُوَ: قَالَ عَبْدُ اللَّهِ: «إِنِّي لِأَحْسَبُ عُمَرَ قَدْ ذَهَبَ بِتِسْعَةِ أَعْشَارِ الْعِلْمِ».

مَعَ أَنَّ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَسْلَمَ كَبِيرًا؛ وَلَكِنَّهُ فَتَحَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى لَهُ سُبُلَ التَّلَقِّي،
وَلَزِمَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَأَخْلَصَ لِلَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى فِي نَيْتِهِ وَقَصْدِهِ، وَعَمِلَ بِعِلْمِهِ،
وَدَعَا إِلَيْهِ، وَصَبَرَ عَلَى الْأَذَى فِي سَبِيلِ اللَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، فَاتَاهُ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى
ذَلِكَ الْفَضْلَ الْعَظِيمَ.

وَعَلَى طَالِبِ الْعِلْمِ أَنْ يَتَحَلَّى بِالْحِلْمِ وَالصَّبْرِ؛ فَعَنْ عَطَاءِ بْنِ يَسَارٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ
قَالَ: «مَا أَوْى شَيْءٌ إِلَى شَيْءٍ أَزَيْنَ مِنْ حِلْمٍ إِلَى عِلْمٍ»^(٢).

وَقَالَ النَّوَوِيُّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ^(٣): «مَنْ لَمْ يَصْبِرْ عَلَى ذُلِّ التَّعَلُّمِ؛ بَقِيَ عُمُرُهُ فِي عَمَايَةِ
الْجَهْلِ، وَمَنْ صَبَرَ عَلَيْهِ؛ آلَ عُمُرُهُ إِلَى عِزِّ الْآخِرَةِ وَالْدُّنْيَا».

«المعرفة والتاريخ»: (١/٤٦٢-٤٦٣)، والطبراني في «المعجم الكبير»: (٩/١٦٢-١٦٣)،

رقم ٨٨٠٨ و ٨٨٠٩ و ٨٨١٠، والبيهقي في «المدخل»: (٢/٥٤٩)، رقم (١١٧٠).

(١) هامش كتاب «العلم» لزهير بن حرب: (ص ١٨).

(٢) أخرجه زهير بن حرب في «العلم»: (ص ٢١، رقم ٨١)، والدارمي في «المسند»:

(١/٤٧٠، رقم ٥٩٦)، وابن أبي خيثمة في «التاريخ الكبير» السفر الثالث: (٢/١٥٢،

رقم ٢١٦٥)، والبيهقي في «المدخل»: (٢/٧٣٨، رقم ١٦١٣ و ١٦١٤)، وابن عبد البر

في «جامع بيان العلم وفضله»: (١/٥٠٥، رقم ٨٠٦ و ٨٠٧)، وابن عساكر في «تاريخ

دمشق»: (٤٠/٤٤٩)، ترجمة (٤٧١٠).

والأثر إسناده صحيح، وقد أثر عن غير واحد من السلف بنحوه.

(٣) مقدمة «المجموع شرح المهذب»: (١/٣٧-٣٨)، و«التبيان في آداب حملة القرآن»:

(ص ٥٠).

وَمِنْهُ الْأَثَرُ الْمَشْهُورُ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: «ذَلَلْتُ طَالِبًا؛ فَعَزَزْتُ مَطْلُوبًا»^(١).

وَقَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الَّذِينَ يُضْرَبُ بِهِمُ الْمَثَلُ فِي الصَّبْرِ عَلَى التَّحْصِيلِ، وَالْجِدِّ فِي الطَّلَبِ حَتَّى بُلُوغِ الْغَايَةِ، وَهُوَ أَكْثَرُ الْأَصْحَابِ رَوَايَةً لِلْحَدِيثِ مَعَ قِصْرِ الْمُدَّةِ فِي الصُّحْبَةِ؛ وَلَكِنْ بِالْمُلَازِمَةِ وَالصَّبْرِ، وَالْجِدِّ وَالْإِقْبَالِ وَالْحَزْمِ - قَالَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «كُنْتُ أَلْزَمُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِشِعِّ بَطْنِي حِينَ لَا أَكُلُ الْخَمِيرَ، وَلَا أَلْبَسُ الْحَبِيرَ، وَلَا يَخْدُمُنِي فَلَانٌ وَلَا فُلَانَةٌ، وَأُلْصِقُ بَطْنِي بِالْحَضَبَاءِ، وَأَسْتَقْرِ الرَّجُلَ الْآيَةَ وَهِيَ مَعِي؛ كَيْ يَنْقَلِبَ بِي فَيُطْعِمَنِي»^(٢).

فَالصَّبْرُ عَلَى مَشَقَّةِ التَّحْصِيلِ أَهَمُّ مَا يَلْزَمُ طَالِبَ الْعِلْمِ فِي طَلَبِهِ، وَقَدْ رَأَيْتَ كَيْفَ بَلَغَ أَبُو هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فِي الرِّوَايَةِ فِي مُدَّةِ يَسِيرَةٍ مَبْلَغًا بَعِيدًا؛ وَلَكِنَّهُ ضَحَّى فِي سَبِيلِ ذَلِكَ بِرَاحَةِ الْجِسْمِ، وَشَهْوَةِ الْمَطْعَمِ، وَلَذِيذِ الْغَمْضِ، وَتَحَمُّلِ الْجُوعِ، وَصَبَرَ عَلَى الضَّنَى^(٣)، وَأَنْقَطَعَ لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يَسْمَعُ وَيَحْفَظُ، وَيَعِي وَيُدْرِكُ؛ إِذْ لَا يَشْغَلُهُ مِنْ أَمْرِ الدُّنْيَا شَيْءٌ؛ حَتَّى بَلَغَ فِي الرِّوَايَةِ الْمَبَالِغَ - رَضِيَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى عَنْهُ -.

(١) أخرجه الدينوري في «المجالسة وجواهر العلم»: (٤/٤٣٩)، رقم (١٦٣٥)، بإسناد

منقطع.

(٢) أخرجه البخاري: (٧/٧٥)، رقم (٣٧٠٨) واللفظ له، ومسلم: (٤/١٩٣٩)، رقم

(٢٤٩٢).

(٣) «الضنى»: شدة المرض وسوء الحال.

وَعَلَى طَالِبِ الْعِلْمِ أَنْ تَكُونَ هِمَّتُهُ عَالِيَةً؛ فَلَا يَرْضَى بِالْيَسِيرِ مِنَ الْعِلْمِ مَعَ
إِمْكَانِ الْكَثِيرِ، وَعَلَيْهِ أَلَّا يُؤَخَّرَ وَاجِبَاتِ يَوْمِهِ لِعَدِهِ، وَلَا يَغْفَلَ عَنِ اسْتِحْضَارِهِ
لِدُرُوسِهِ، وَلَا يُضَيِّعَ وَقْتَهُ^(١).

قَالَ الرَّبِيعُ تَلْمِيزُ الشَّافِعِيِّ: «لَمْ أَرِ الشَّافِعِيَّ آكِلًا بِنَهَارٍ، وَلَا نَائِمًا بِلَيْلٍ؛
لَا هِتْمَامِهِ بِالتَّصْنِيفِ رَضِيَ اللهُ^(٢)».

وَلَقَدْ كَانَ الْعُلَمَاءُ مِنْ سَلَفِ هَذِهِ الْأُمَّةِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ ذَوِي هِمَمٍ عَالِيَةٍ، وَأَثَارُهُمْ فِي
ذَلِكَ نَاطِقَةٌ بِأَحْوَالِهِمْ، مُخْبِرَةٌ بِدَفَائِنِ قُلُوبِهِمْ، وَهَذِهِ -فَانْتَبِهْ لَهَا- بَعْضُ
أَخْبَارِهِمْ.

«الإمامُ الحافظُ الجوالُ محدثُ العصرِ أبو عبدِ اللهِ مُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَاقَ بْنِ
مَنْدَةَ، وُلِدَ سَنَةَ عَشْرٍ وَثَلَاثِ مِائَةٍ (٣١٠هـ)، وَمَاتَ سَنَةَ خَمْسٍ وَتِسْعِينَ وَثَلَاثِ
مِائَةٍ (٣٩٥هـ)، وَعَدَّةُ شَيْوَحِهِ الَّذِينَ سَمِعَ مِنْهُمْ وَأَخَذَ عَنْهُمْ أَلْفٌ وَسَبْعُ مِائَةٍ
شَيْخٍ، وَلَمَّا رَجَعَ مِنَ الرَّحْلَةِ الطَّوِيلَةِ؛ كَانَتْ كُتُبُهُ عِدَّةَ أَحْمَالٍ؛ حَتَّى قِيلَ: إِنَّهَا
كَانَتْ أَرْبَعِينَ حِمْلًا!! وَمَا بَلَّغْنَا أَنَّ أَحَدًا مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ سَمِعَ مَا سَمِعَ وَلَا جَمَعَ مَا
جَمَعَ، وَكَانَ خِتَامَ الرَّحَّالِينَ، وَفَرَدَ الْمُكْثَرِينَ مَعَ الْحِفْظِ، وَالْمَعْرِفَةِ، وَالصَّدْقِ،
وَكَثْرَةِ التَّصَانِيفِ.

(١) انظر: مقدمة «المجموع شرح المهذب» للنووي: (٣٨/١).

(٢) أخرجه البيهقي في «مناقب الشافعي»: (١/٢٣٧)، بإسناد صحيح.

وَأَوَّلَ ارْتِحَالِهِ كَانَ قَبْلَ ثَلَاثِينَ وَثَلَاثِ مِائَةٍ (٣٣٠هـ) إِلَى (نَيْسَابُورَ)، قَالَ الْحَاكِمُ: «التَّقِينَا بِ (بُخَارَى) سَنَةَ إِحْدَى وَسِتِّينَ وَثَلَاثِ مِائَةٍ وَقَدْ زَادَ زِيَادَةً ظَاهِرَةً، ثُمَّ جَاءَنَا إِلَى (نَيْسَابُورَ) سَنَةَ خَمْسِ وَسَبْعِينَ ذَاهِبًا إِلَى وَطْنِهِ» (١) «(٢)».

فَرَحَلَ وَعُمُرُهُ عِشْرُونَ سَنَةً، وَرَجَعَ وَعُمُرُهُ خَمْسُ وَسِتُونَ سَنَةً، وَكَانَتْ رِحْلَتُهُ خَمْسًا وَأَرْبَعِينَ سَنَةً، لَمْ يَعُدْ فِيهَا إِلَى وَطْنِهِ، فِي هَذِهِ الْمُدَّةِ بِطُولِهَا لَمْ يَعُدْ إِلَى وَطْنِهِ، كَانَتْ رِحْلَتُهُ خَمْسًا وَأَرْبَعِينَ سَنَةً، ثُمَّ عَادَ إِلَى وَطْنِهِ، فَتَزَوَّجَ وَهُوَ ابْنُ خَمْسِ وَسِتِّينَ سَنَةً، وَرَزَقَ الْأَوْلَادَ، وَحَدَّثَ بِالكَثِيرِ - رَحِمَهُ اللَّهُ رَحْمَةً وَاسِعَةً - (٣).

فَهَلْ سَمِعْتَ بِمِثْلِ هَذَا مِنْ قَبْلُ؟!!

هَلْ سَمِعْتَ بِمِثْلِ هَذَا قَطُّ؟!!

وَعَنْ يَحْيَى بْنِ سَعِيدٍ، عَنْ سَعِيدِ بْنِ الْمُسَيْبِ قَالَ: «إِنْ كُنْتُ لِأَرْحَلُ الْأَيَّامَ وَاللَّيَالِي فِي طَلَبِ الْحَدِيثِ الْوَاحِدِ».

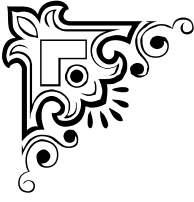
وَعَنْ أَيُّوبَ قَالَ: قَالَ أَبُو قِلَابَةَ: «لَقَدْ أَقَمْتُ بِالْمَدِينَةِ ثَلَاثًا مَا لِي حَاجَةٌ إِلَّا رَجُلٌ عِنْدَهُ حَدِيثٌ، يَقْدُمُ - أَيُّ: إِلَى الْمَدِينَةِ -، فَأَسْمَعُهُ مِنْهُ».



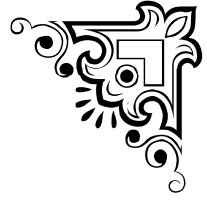
(١) أخرجه ابن عساكر في «تاريخ دمشق»: (٥٢ / ٣١، ترجمة ٦٠٨٣)، بإسناد صحيح.

(٢) «تذكرة الحفاظ»: الطبقة الثالث عشر، (٣ / ١٥٨) باختصار وتصرف يسير.

(٣) انظر: «ميزان الاعتدال»: (٣ / ٤٧٩)، ترجمة ٧٢١٣.



مِنْ مَظَاهِرِ الْهَمَّةِ الْعَالِيَةِ:
الْحِرْصُ عَلَى الْوَقْتِ



إِنَّ مِنْ أَوْضَحِ صُورِ عُلُوِّ الْهَمَّةِ: مَعْرِفَةُ قِيَمَةِ الْوَقْتِ، وَالْحِرْصَ عَلَيْهِ؛ فَإِنَّ مِنْ أَجَلِّ أَصُولِ نِعَمِ اللَّهِ -تَعَالَى- عَلَى الْعَبْدِ: نِعْمَةُ الْوَقْتِ؛ أَنْ آتَاهُ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى عُمُرًا، وَمَنْ عَلَيْهِ بِفُسْحَةٍ مِنَ الزَّمَنِ؛ لِكَيْ يَعْمَلَ صَالِحًا، وَيَسْتَدْرِكَ مَا وَقَعَ فِيهِ مِنَ الْمَعَاصِي وَالسَّيِّئَاتِ؛ لِيَتُوبَ إِلَى اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى.

وَكَانَ سَلَفُنَا الصَّالِحُونَ -رَحْمَةُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ- يَتَنَافَسُونَ فِي حِفْظِ الْأَوْقَاتِ أَشَدَّ مِمَّا يَتَنَافَسُ الْخَلْقُ الْحَاضِرُونَ فِي زَمَانِنَا فِي تَضْيِيعِهَا، فَهَذَا عَامِرُ بْنُ عَبْدِ قَيْسٍ، وَهُوَ أَحَدُ التَّابِعِينَ الزُّهَّادِ، قَالَ لَهُ رَجُلٌ يَوْمًا: «كَلِّمْنِي!».

فَقَالَ لَهُ عَامِرٌ: «أَمْسِكِ الشَّمْسَ!!»^(١)؛ يَعْنِي: أَوْقِفِ لِي الشَّمْسَ، وَاحْبِسْهَا عَنِ الْمَسِيرِ حَتَّى أَكَلِّمَكَ.

قَالَ الْحَسَنُ الْبَصْرِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: «يَا ابْنَ آدَمَ! إِنَّمَا أَنْتَ أَيَّامٌ، فَإِذَا ذَهَبَ يَوْمٌ؛ ذَهَبَ بَعْضُكَ».

(١) تقدم تخريجه.

وَقَالَ -أَيْضًا-: «أَدْرَكْتُ أَقْوَامًا كَانُوا عَلَى أَوْقَاتِهِمْ أَشَدَّ مِنْكُمْ حِرْصًا عَلَى دَرَاهِمِكُمْ وَدَنَانِيرِكُمْ».

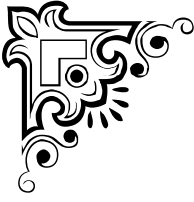
وَقَالَ الْحَافِظُ الذَّهَبِيُّ رَحِمَهُ اللهُ فِي تَرْجَمَةِ الْإِمَامِ الْمُحَدَّثِ حَمَّادِ بْنِ سَلَمَةَ بْنِ دِينَارِ الْبَصْرِيِّ، وَهُوَ الْإِمَامُ الْمُحَدَّثُ النَّحْوِيُّ الْحَافِظُ الْقُدْوَةُ شَيْخُ الْإِسْلَامِ، كَانَ بَارِعًا فِي الْعَرَبِيَّةِ، فَقِيهَا فَصِيحًا مُفَوَّهًا، صَاحِبَ سُنَّةٍ، وَكَانَ عَابِدًا مِنَ الْعِبَادِ، قَالَ تَلْمِيذُهُ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ مَهْدِيٍّ: «لَوْ قِيلَ لِحَمَّادِ بْنِ سَلَمَةَ: إِنَّكَ تَمُوتُ غَدًا؛ مَا قَدَرَ أَنْ يَزِيدَ فِي الْعَمَلِ شَيْئًا!!».

وَهَذَا أَمْرٌ عَجِيبٌ جَدًّا، وَوَصْفٌ هُوَ أَعْجَبُ!! «لَوْ قِيلَ لَهُ: إِنَّكَ تَمُوتُ غَدًا؛ مَا قَدَرَ أَنْ يَزِيدَ فِي عَمَلِهِ شَيْئًا!!».

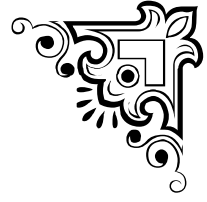
قَالَ يُونُسُ الْمُؤَدَّبُ: «مَاتَ حَمَّادُ بْنُ سَلَمَةَ وَهُوَ فِي الصَّلَاةِ» -رَحِمَهُ اللهُ عَلَيْهِ-.

كَانُوا يَغَارُونَ عَلَى الْوَقْتِ أَنْ يَمْضِيَ فِي غَيْرِ فَائِدَةٍ عَلَيْهِمْ تَعُودُ، وَعَائِدَةٌ بِهَا يَعُودُونَ؛ مِنْ خَيْرٍ يُحْصَلُونَ، وَشَرٌّ عَنْهُ يَتَعَدُونَ.





مِنْ مَظَاهِرِ عُلُوِّ الْهَمَّةِ: عُلُوُّ الْهَمَّةِ فِي الْعِبَادَةِ



إِنَّ مِنْ أَعْظَمِ مَظَاهِرِ وَصُورِ عُلُوِّ الْهَمَّةِ فِي حَيَاةِ الْمُسْلِمِ: عُلُوُّ الْهَمَّةِ فِي الْعِبَادَةِ،
وَعَلَى الْقِمَّةِ السَّامِقَةِ الشَّامِخَةِ فِي عُلُوِّ الْهَمَّةِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ؛ يَقُولُ رَبُّنَا تَبَارَكَ وَتَعَالَى
مُخَاطِبًا نَبِيَّهُ ﷺ: ﴿يَا أَيُّهَا الْمَرْمَلُ (١) فِرَّ الْيَلَّ إِلَّا قَلِيلًا (٢) بَصْفَهُ، أَوْ انْقُصْ مِنْهُ قَلِيلًا (٣) أَوْ
زِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا (٤) إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا (٥) إِنْ نَاشِئَةَ الْيَلِّ هِيَ أَشَدُّ وَطْأًا
وَأَقْوَمُ قِيلًا﴾ (١) [المزمل: ١-٦].

لَقَدْ كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يُصَلِّي بِاللَّيْلِ حَتَّى تَتَوَرَّمَ قَدَمَاهُ، فَإِذَا رُوجَعَ قَالَ: «أَفَلَا
أُحِبُّ أَنْ أَكُونَ عَبْدًا شَكُورًا!!!» (٢) ﷺ.

وَمَنْ تَأَمَّلَ أَحْوَالَ الصَّحَابَةِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ؛ وَجَدَهُمْ فِي غَايَةِ الْعَمَلِ مَعَ غَايَةِ الْخَوْفِ،
وَنَحْنُ جَمِيعًا بَيْنَ التَّقْصِيرِ - بَلِ التَّفْرِيطِ - وَالْأَمْنِ، فَهَذَا الصَّدِيقُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَقُولُ:
«وَدِدْتُ أَنِّي شَعْرَةٌ فِي جَنْبِ عَبْدٍ مُؤْمِنٍ».

(١) خطبة وزارة الأوقاف المصرية: «رَمَضَانُ شَهْرُ الْإِيمَانِ وَصِنَاعَةِ الرَّجَالِ» (ص: ٦)

بتاريخ ١٩ من رمضان ١٤٤٠هـ - الموافق ٢٤ من مايو ٢٠١٩م.

(٢) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ فِي (التَّفْسِيرِ، سُورَةِ ٤٨: بَابِ ٢: ٢، رَقْمُ ٤٨٣٧)، وَمُسْلِمٌ (صِفَاتِ

الْمُنَافِقِينَ، ١٨: ٣، رَقْمُ ٢٨٢٠)، مِنْ حَدِيثِ: عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا.

وَذِكْرَ عَنْهُ - أَيْضًا - أَنَّهُ كَانَ يُمَسِّكُ بِلِسَانِهِ، وَيَقُولُ: «هَذَا الَّذِي أوردني المَوَارِدُ».

وَهَذَا عُمَرُ رضي الله عنه قرأ سورة الطور، حتَّى إذا بلغ: ﴿إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَاقِعٌ﴾ [الطور: ٧٧]، فبكى واشتدَّ بكاءؤه؛ حتَّى مَرَضَ وَعَادُوهُ.

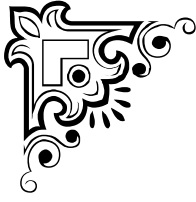
وَهَذَا عُثْمَانُ بْنُ عَفَّانٍ رضي الله عنه؛ كَانَ إِذَا وَقَفَ عَلَى الْقَبْرِ؛ يَبْكِي حتَّى تُبْتَلَّ لِحْيَتُهُ، وَقَالَ: «لَوْ أَنِّي بَيْنَ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ، لَا أَدْرِي إِلَى أَيَّتِهِمَا يُؤْمَرُ بِي؛ لَا خَرَّتْ أَنْ أَكُونَ رَمَادًا قَبْلَ أَنْ أَعْلَمَ إِلَى أَيَّتِهِمَا أَصِيرُ».

وَهَذَا عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ رضي الله عنه، وَبِكَاءُؤُهُ وَخَوْفُهُ، وَكَانَ يَشْتَدُّ خَوْفُهُ مِنْ اثْنَتَيْنِ: طُولِ الْأَمَلِ، وَاتِّبَاعِ الْهَوَى.

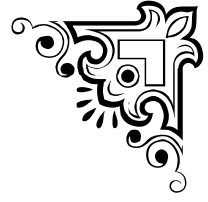
وَقَدْ صَامَ دَاوُدُ بْنُ أَبِي هِنْدٍ أَرْبَعِينَ سَنَةً، لَمْ يَعْلَمْ بِذَلِكَ أَهْلُهُ وَلَا أَحَدٌ، كَانَ يَأْخُذُ غَدَاءَهُ، وَيَخْرُجُ مِنْ بَيْتِهِ قاصِدًا السُّوقِ، وَكَانَ خَزَاًا، فَيَتَصَدَّقُ بِالطَّعَامِ عَلَى الْمَسَاكِينِ، ثُمَّ يَذْهَبُ إِلَى السُّوقِ، فَيَظُنُّ أَهْلَ السُّوقِ أَنَّهُ قَدْ أَكَلَ فِي بَيْتِهِ، وَيَظُنُّ أَهْلُ بَيْتِهِ أَنَّهُ قَدْ أَكَلَ فِي السُّوقِ، حتَّى إِذَا مَا كَانَ بِالْعَشِيِّ؛ رَجَعَ فَأَفْطَرَ فِي بَيْتِهِ؛ لَمْ يَعْلَمْ بِصِيَامِهِ أَهْلُ بَيْتِهِ، وَلَا أَحَدٌ مِنَ النَّاسِ - رَحْمَةُ اللَّهِ عَلَيْهِ -.

لَقَدْ كَانُوا - رَحِمَهُمُ اللَّهُ تَعَالَى - يَحْفَظُونَ أَوْقَاتَهُمْ وَأَعْمَارَهُمْ، وَيَعْمُرُونَهَا بِذِكْرِ اللَّهِ - تَعَالَى - وَمَا يَقْرُبُ إِلَيْهِ.





مِنْ أَعْظَمِ مَيَادِينِ عُلُوِّ الْهَمَّةِ:
مَيَادَانُ الْأَخْلَاقِ الْفَاضِلَةِ



إِنَّ عُلُوَّ الْهَمَّةِ فِي الْعِبَادَةِ يَقْتَضِي: حُسْنَ آدَائِهَا، وَأَنْ يَظْهَرَ أَثَرُهَا فِي سُلُوكِ
الْإِنْسَانِ وَأَخْلَاقِهِ، فَلَا يَكْذِبُ، وَلَا يَخُونُ، وَلَا يَغْشَى، وَلَا يَأْكُلُ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ،
وَحُسْنَ الْخُلُقِ وَكَفُّ الْأَذَى يَتَطَلَّبَانِ هِمَّةً عَالِيَةً وَمُصَابِرَةً.

قَالَ التِّرْمِذِيُّ: «قَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الْمُبَارَكِ: حُسْنُ الْخُلُقِ: طَلَاقَةُ الْوَجْهِ، وَبَذْلُ
الْمَعْرُوفِ، وَكَفُّ الْأَذَى»^(١).

وَحُسْنُ الْخُلُقِ يَقُومُ عَلَى أَرْبَعَةِ أَرْكَانٍ، لَا يُتَصَوَّرُ قِيَامُ سَاقِهِ إِلَّا عَلَيْهَا:
الصَّبْرُ، وَالْعِفَّةُ، وَالشَّجَاعَةُ، وَالْعَدْلُ.



(١) «رياض الصالحين»: (ص ٢١٦).

مِنْ أَعْظَمِ مَبَادِينِ عُلُوِّ الْهَمَّةِ:
مَبِيدَانِ الدَّعْوَةِ إِلَى اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى

إِنَّ مِنْ أَهَمِّ الْمَبَادِينِ الَّتِي تَتَطَلَّبُ الْهَمَمَ الْعَالِيَةَ، وَالْجِهَادَ وَالْمَصَابِرَةَ: مَبِيدَانِ الدَّعْوَةِ إِلَى اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى؛ فَالِنَّبِيُّ ﷺ بَعْدَ أَنْ رَجَعَ بِقَوْلِ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿أَقْرَأْ﴾ [العلق: ١] مَضَتْ أَيَّامٌ طَالَتْ عَلَيْهِ جِدًّا لَمَّا فَتَرَ الْوَحْيَ، ثُمَّ أَنْزَلَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى مَا صَارَ بِهِ رَسُولًا بَعْدَ أَنْ أَنْزَلَ مَا كَانَ بِهِ نَبِيًّا: ﴿يَأْتِيهَا الْمَدِينَةُ ۝١﴾ قُرْآنِذِرٌ [المدثر: ١-٢]، فَكَانَ لَا يَكَادُ يَنَامُ.

فَتَقُولُ لَهُ زَوْجُهُ خَدِجَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: «أَلَا تَنَامُ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟!».

فَيَقُولُ لَهَا: «مَضَى زَمَانُ النَّوْمِ يَا خَدِجَةُ!!».

كُلُّ صَاحِبِ دَعْوَةٍ.. كُلُّ صَاحِبِ إِصْلَاحٍ.. كُلُّ دَاعٍ إِلَى الْخَيْرِ مَضَى زَمَانُ نَوْمِهِ، وَجَاءَ أَوْ أُنْ عَنَائِهِ، وَالْمَتْعُ لَيْسَتْ هَاهُنَا، الْمَتْعُ هُنَالِكَ!!
فَأَمَّا مَنْ خَالَفَ؛ فَلْيَعْلَمْ أَنَّهُ يَتَسَاقَطُ، نَسَّأَلُ اللَّهَ الثَّبَاتَ، وَدَوَامَ الثَّبَاتِ، وَدَوَامَ الْعَافِيَةِ.

إِنَّ عُلُوِّ الْهَمَّةِ فِي مَبِيدَانِ الدَّعْوَةِ إِلَى اللَّهِ لَمِنْ أَعْظَمِ سُبُلِ نَشْرِ الْإِسْلَامِ وَنُصْرَتِهِ، جِيلُ التَّاسِيْسِ الَّذِي يَحْمِلُ الرِّسَالَةَ عَلَى عَاتِقِهِ، وَيَنْطَلِقُ بِهَا شَامِخًا عَالِيًّا، قَدْ جَعَلَ الدُّنْيَا لَا شَيْءَ، قَدْ جَعَلَ الدُّنْيَا مَعْدُومَةً فِي نَظَرِهِ، لَا يَنْظُرُ إِلَيْهَا، وَلَا يَتَأَمَّلُ فِيهَا.

مُضْعَبٌ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ؛ وَهُوَ أَوَّلُ سَفِيرٍ فِي الْإِسْلَامِ ^(١)، وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ فِي مِيزَانِ حَسَنَاتِهِ كُلَّ حَسَنَاتٍ أَتَى بِهَا مِنْ اهْتِزَّ عَرْشُ الرَّحْمَنِ لِمَوْتِهِ؛ لِأَنَّهُ كَانَ دَاعِيَةَ الْإِسْلَامِ عِنْدَ سَعْدِ بْنِ مُعَاذٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ^(٢)، وَهُوَ كَانَ دَاعِيَةَ الْإِسْلَامِ عِنْدَ أُسَيْدِ بْنِ حُضَيْرٍ الَّذِي تَنَزَّلَتِ الْمَلَائِكَةُ لِتِلَاوَتِهِ لِلْقُرْآنِ الْعَظِيمِ ^(٣).

وَهَذَا الصَّحَابِيُّ الَّذِي فَتَحَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ بِهِ مَدِينَةَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِالْقُرْآنِ الشَّرِيفِ وَحَدَهُ.



(١) لما أخرجه البخاري في «صحيحه» (رقم ٣٩٢٤، و٣٩٢٥، و٤٩٤١)، من حديث: البراء بن عازب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: «أَوَّلُ مَنْ قَدِمَ عَلَيْنَا الْمَدِينَةَ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مُضْعَبُ بْنُ عُمَيْرٍ، ثُمَّ قَدِمَ عَلَيْنَا بَعْدَهُ عَمْرُو بْنُ أُمِّ مَكْتُومٍ فَجَعَلَا يُقْرَأُنَا الْقُرْآنَ...» الحديث.

(٢) أخرجه البخاري في «صحيحه» (رقم ٣٨٠٣)، ومسلم في «صحيحه» (رقم ٢٤٦٦)، من حديث: جابر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «وَجَنَازَةُ سَعْدِ بْنِ مُعَاذٍ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ اهْتِزَّتْ لَهَا عَرْشُ الرَّحْمَنِ».

(٣) أخرجه البخاري (رقم ٥٠١٨)، ومسلم (رقم ٧٩٦)، من حديث: أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: بَيْنَمَا أُسَيْدُ بْنُ حُضَيْرٍ يَقْرَأُ مِنَ اللَّيْلِ سُورَةَ الْبَقَرَةِ، وَفَرَسُهُ مَرْبُوطَةٌ عِنْدَهُ، إِذْ جَالَتِ الْفَرَسُ فَسَكَتَ فَسَكَتَتْ، فَقَرَأَ فَجَالَتِ الْفَرَسُ، فَسَكَتَتْ وَسَكَتَتِ الْفَرَسُ، ثُمَّ قَرَأَ فَجَالَتِ الْفَرَسُ فَانْصَرَفَ، وَكَانَ ابْنُهُ يَحْيَى قَرِيبًا مِنْهَا، قَالَ أُسَيْدٌ: فَخَشِيتُ أَنْ تَطَأَ يَحْيَى فَتَمَّتْ إِلَيْهَا، فَإِذَا مِثْلُ الظِّلَّةِ فَوْقَ رَأْسِي فِيهَا أَمْثَالُ الشُّرُجِ، عَرَجَتْ فِي الْجَوْحِ حَتَّى مَا أَرَاهَا، فَلَمَّا أَصْبَحَ حَدَّثَ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: «اقْرَأْ يَا ابْنَ حُضَيْرٍ، اقْرَأْ يَا ابْنَ حُضَيْرٍ»، قَالَ: «وَتَدْرِي مَا ذَاكَ؟»، قَالَ: لَا، قَالَ: «تِلْكَ الْمَلَائِكَةُ دَنَّتْ لِصَوْتِكَ، وَلَوْ قَرَأْتَ لَأَصْبَحَتْ يَنْظُرُ النَّاسُ إِلَيْهَا، لَا تَتَوَارَى مِنْهُمْ»، وَفِي رِوَايَةٍ: «تِلْكَ الْمَلَائِكَةُ كَانَتْ تَسْتَمِعُ لَكَ، وَلَوْ قَرَأْتَ لَأَصْبَحَتْ يَرَاهَا النَّاسُ مَا تَسْتَتِرُ مِنْهُمْ».

مِنْ مَظَاهِرِ عَلُوِّ الْهِمَّةِ:
عَلُوُّ الْهِمَّةِ فِي خِدْمَةِ الْمُجْتَمَعِ وَالْبَدَلِ

إِنَّ مِنَ الْمَجَالَاتِ الْعَظِيمَةِ الَّتِي تَحْتَاجُ إِلَى عَلُوِّ هِمَّةٍ وَرِفْعَةِ نَفْسٍ: خِدْمَةُ الْمُجْتَمَعِ، وَالْإِنْفَاقِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، وَالْبَدَلِ، جَاءَ رَجُلٌ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ! أَيُّ النَّاسِ أَحَبُّ إِلَيَّ اللَّهُ؟ وَأَيُّ الْأَعْمَالِ أَحَبُّ إِلَيَّ اللَّهُ؟ فَقَالَ ﷺ: «أَحَبُّ النَّاسِ إِلَيَّ اللَّهُ أَنْفَعُهُمْ لِلنَّاسِ، وَأَحَبُّ الْأَعْمَالِ إِلَيَّ اللَّهُ سُرُورٌ تُدْخِلُهُ عَلَيَّ مُسْلِمٍ؛ تَكْشِفُ عَنْهُ كُرْبَةً، أَوْ تَقْضِي عَنْهُ دَيْنًا، أَوْ تَطْرُدُ عَنْهُ جُوعًا» (١).

(١) زاده رزين على الأصول الستة كما في «جامع الأصول» لابن الأثير: ٦ / ٥٦١، رقم (٤٧٩٢).

وأخرج نحوه: ابن أبي الدنيا في «اصطناع المعروف» ضمن موسوعة ابن أبي الدنيا الحديثية: ١ / ٢٨١، رقم (١١٢)، من حديث: بَعْضِ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ، وأخرجه الدينوري في «المجالسة»: ٨ / ٢٧٧-٢٧٨، رقم (٣٥٤٣)، من حديث: ابن عباس رضي الله عنهما.

وأخرجه ابن حبان في «المجروحين»: ١ / ٣٦٠ / ترجمة سُكَيْنِ بْنِ أَبِي سَرَّاجٍ، والطبري في معاجمه الثلاثة في «الكبير»: ١٢ / ٤٥٣ رقم (١٣٦٤٦)، وفي «الأوسط»: ٦ / ١٣٩ -

وَيَسِينُ لَنَا النَّبِيُّ ﷺ - فِي حَدِيثٍ حَسَنِ -، فَيَقُولُ: «وَمَنْ مَشَى مَعَ مَظْلُومٍ حَتَّى يُثَبَّتَ لَهُ حَقُّهُ؛ ثَبَّتَ اللَّهُ قَدَمَيْهِ عَلَى الصِّرَاطِ يَوْمَ تَزُولُ الْأَقْدَامُ»^(١).

وَيَقُولُ الرَّسُولُ ﷺ: «وَلَأَنْ أَمْشِيَ مَعَ أَخٍ فِي حَاجَةٍ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أَعْتَكِفَ فِي هَذَا الْمَسْجِدِ - يَعْنِي: مَسْجِدَ النَّبِيِّ ﷺ - شَهْرًا»^(٢).

١٤٠، رقم (٦٠٢٦)، وفي «الصغير»: ٢ / ١٠٦ رقم (٨٦١)، وأبو نعيم في «حلية الأولياء»: ٦ / ٣٤٨، ترجمة (٣٨٦)، من حديث: ابنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، أَنَّ رَجُلًا جَاءَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَيُّ النَّاسِ أَحَبُّ إِلَيَّ اللَّهُ؟ وَأَيُّ الْأَعْمَالِ أَحَبُّ إِلَيَّ اللَّهُ ﷻ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:

«أَحَبُّ النَّاسِ إِلَيَّ اللَّهُ - تَعَالَى - أَنْفَعُهُمْ لِلنَّاسِ، وَأَحَبُّ الْأَعْمَالِ إِلَيَّ اللَّهُ - تَعَالَى - سُرُورٌ تُدْخِلُهُ عَلَيَّ مُسْلِمٍ، أَوْ تَكْشِفُ عَنْهُ كُرْبَةً، أَوْ تَقْضِي عَنْهُ دَيْنًا، أَوْ تَطْرُدُ عَنْهُ جُوعًا، وَلَأَنْ أَمْشِيَ مَعَ أَخِي فِي حَاجَةٍ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أَعْتَكِفَ فِي هَذَا الْمَسْجِدِ - يَعْنِي مَسْجِدَ الْمَدِينَةِ - شَهْرًا، وَمَنْ كَفَّ غَضَبَهُ سَتَرَ اللَّهُ عَوْرَتَهُ، وَمَنْ كَظَمَ غَيْظَهُ وَلَوْ شَاءَ أَنْ يُمِضِيَهُ أَمْضَاهُ مَلَأَ اللَّهُ قَلْبَهُ رَجَاءً يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَمَنْ مَشَى مَعَ أَخِيهِ فِي حَاجَةٍ حَتَّى يَتَهَيَّأَ لَهُ أَنْ تَبَّتَ اللَّهُ قَدَمَهُ يَوْمَ تَزُولُ الْأَقْدَامُ».

وفي لفظ: «...» وَمَنْ مَشَى مَعَ أَخِيهِ فِي حَاجَتِهِ كَانَ كَصِيَامِ شَهْرٍ وَعَاتِكَا فِيهِ، وَمَنْ مَشَى مَعَ مَظْلُومٍ يُعِينُهُ ثَبَّتَ اللَّهُ قَدَمَيْهِ يَوْمَ تَزُولُ الْأَقْدَامُ،...».

والحديث حسنه غيره الألباني في «الصحيحه»: ٢ / ٥٧٤، رقم (٩٠٦)، وروي عن علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، نحوه.

(١) تقدم تخريجه.

(٢) تقدم تخريجه من حديث: ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

كَانَ النَّبِيُّ ﷺ أَجْوَدَ النَّاسِ، وَأَكْرَمَ النَّاسِ، وَأَحْسَنَ النَّاسِ، وَأَجْمَلَ النَّاسِ.
وَكَانَ ﷺ يُرَبِّي أَصْحَابَهُ عَلَى الْبَذْلِ وَالْجُودِ وَالْكَرَمِ، وَيَحُضُّهُمْ عَلَى
الصَّدَقَةِ؛ فَعَنْ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: «رَغِبَ النَّبِيُّ ﷺ فِي الصَّدَقَةِ يَوْمًا، وَقَدْ صَادَفَ
ذَلِكَ مَالًا عِنْدِي، فَقُلْتُ: الْيَوْمَ أَسْبِقُ أَبَا بَكْرٍ إِنْ سَبَقْتُهُ يَوْمًا.

قَالَ: فَانْقَلَبْتُ إِلَى أَهْلِي، فَأَتَيْتُ بِشَطْرِ مَالِي -يَعْنِي: بِنِصْفِهِ-، حَتَّى وَضَعْتُهُ
بَيْنَ يَدَيْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ.

فَقَالَ: «مَا أَبْقَيْتَ لِأَهْلِكَ؟».

قُلْتُ: مِثْلَهُ.

قَالَ: ثُمَّ جَاءَ أَبُو بَكْرٍ، فَوَضَعَ مَا أَتَى بِهِ بَيْنَ يَدَيْ النَّبِيِّ ﷺ.

فَقَالَ: «مَا أَبْقَيْتَ لِأَهْلِكَ؟».

قَالَ: أَبْقَيْتُ لَهُمْ اللَّهُ وَرَسُولَهُ.

فَقَالَ عُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: لَا جَرَمَ، لَا أَسَابِقُكَ إِلَى شَيْءٍ بَعْدَهَا أَبَدًا» (١).

وَهَذَا عُمَانُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ؛ كَانَ جَوَادًا مُمَدِّحًا، جَهَّزَ جَيْشَ الْعُسْرَةِ وَحَدَهُ، وَاشْتَرَى
بِئْرَ رُومَةَ، وَوَهَبَهَا لِلْمُسْلِمِينَ، وَكَانَ كَرِيمًا حَيِيًّا تَسْتَحِي مِنْهُ الْمَلَائِكَةُ، وَهُوَ ذُو
النُّورَيْنِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(١) أخرجه أبو داود في «السنن»: ٢ / ١٢٩، رقم (١٦٧٨)، والترمذي في «الجامع»: ٥ /

٦١٤، رقم (٣٦٧٥) وقال: «هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ».

والحديث حسن إسناده الألباني في «صحيح أبي داود»: ٥ / ٣٦٥ و ٣٦٦، رقم

(١٤٧٣).

وَقَدْ ثَبَتَ فِي التَّارِيخِ أَنَّهُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ تَصَدَّقَ بِقَافِلَةٍ ضَخْمَةٍ، بِأَلْفِ بَعِيرٍ تَحْمِلُ
 الْبُرَّ وَالزَّيْتَ وَالزَّيْبَ.. تَصَدَّقَ بِهَا جَمِيعَهَا عَلَى الْمُسْلِمِينَ مِنَ الْفُقَرَاءِ
 وَالْمَسَاكِينِ عِنْدَمَا حَلَّتِ الضَّائِقَةُ الْاِقْتِصَادِيَّةُ بِالْمَدِينَةِ النَّبَوِيَّةِ فِي خِلَافَةِ
 الصِّدِّيقِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وَقَدْ عَرَضَ عَلَيْهِ التُّجَّارُ خَمْسَةَ أَضْعَافٍ ثَمَنَهَا رِبْحًا، فَقَالَ:
 «أُعْطِيْتُ أَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ!!».



مِنْ مَظَاهِرِ عُلُوِّ الْهَمَّةِ فِي الْحَيَاةِ:
عُلُوِّ الْهَمَّةِ فِي الْعَمَلِ

إِنَّ مِنْ أَكْثَرِ الْمَجَالَاتِ الَّتِي تَتَجَلَّى فِيهَا أَهَمِّيَّةُ عُلُوِّ الْهَمَّةِ: الْعَمَلِ، وَتَقَدَّ حَثَّ رَبَّنَا تَبَارَكَ وَتَعَالَى فِي كِتَابِهِ وَحَضَّ نَبِيِّنَا ﷺ فِي سُنَّتِهِ عَلَى عُلُوِّ الْهَمَّةِ فِي الْعَمَلِ؛ «فَفِي الْإِكْتِسَابِ وَالْعَمَلِ فَوَائِدُ كَثِيرَةٌ:

* فِيهِ: مَعْنَى التَّوَكُّلِ عَلَى اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى.

* وَفِيهِ: طَلَبُ الْفَضْلِ مِنْهُ؛ ﴿فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا

مِنْ فَضْلِ اللَّهِ﴾ [الجمعة: ١٠].

* وَأَيْضًا؛ يُسْتَعَانُ بِالْإِكْتِسَابِ عَلَى الْإِنْفَاقِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ؛ ﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ

ءَامَنُوا أَنْفِقُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا كَسَبْتُمْ﴾ [البقرة: ٢٦٧].

* وَبِالْإِكْتِسَابِ يَتَعَفَّفُ الْإِنْسَانُ عَنْ ذُلِّ السُّؤَالِ؛ فَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ:

قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَأَنْ يَحْتَطِبَ أَحَدُكُمْ حُزْمَةً عَلَى ظَهْرِهِ خَيْرٌ مِنْ أَنْ يَسْأَلَ أَحَدًا؛ فَيُعْطِيَهُ أَوْ يَمْنَعَهُ». وَهَذَا الْحَدِيثُ فِي «الصَّحِيحَيْنِ»^(١).

(١) «صحيح البخاري»: (٣ / ٣٣٥، رقم ١٤٧٠)، و«صحيح مسلم»: (٢ / ٧٢١، رقم

وَلَيْسَ أَدَلَّ عَلَى شَرَفِ الْعَمَلِ مِنْ أَنْ جَمِيعَ الْأَنْبِيَاءِ ﷺ كَانُوا يَعْمَلُونَ؛ «فَإِنَّ الْعَمَلَ سُنَّةُ الْأَنْبِيَاءِ وَالْمُرْسَلِينَ، وَهُوَ سُنَّةُ الصَّحَابَةِ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ أَجْمَعِينَ -، فَالِاحْتِرَافُ وَالتَّكْسِبُ قَامَ بِهِ خَيْرُ الْخَلْقِ، وَهُمْ أَنْبِيَاءُ اللَّهِ - صَلَوَاتُ اللَّهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِمْ -، ثُمَّ مِنْ بَعْدِهِمْ أَصْحَابُ نَبِيِّنَا ﷺ وَرَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ».

وَقَدْ تَكَثَّرَتِ الْآيَاتُ وَالْأَحَادِيثُ فِي بَيَانِ ذَلِكَ؛ قَالَ -تَعَالَى- عَنْ دَاوُدَ ﷺ: «وَعَلَّمَنَّهُ صَنْعَةَ لُبْسٍ لَكُمْ لِنُحْصِنَكُمْ مِنْ بَأْسِكُمْ» [الأنبياء: ٨٠].

وَقَالَ تَعَالَى: «وَأَلَّنَّا لَهُ الْحَدِيدَ» [سبأ: ١٠].

وَعَنِ الْمِقْدَامِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ -كَمَا أَخْرَجَ ذَلِكَ الْبُخَارِيُّ فِي «الصَّحِيحِ»^(١)- عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «مَا أَكَلُ أَحَدٌ طَعَامًا قَطُّ خَيْرًا مِنْ عَمَلٍ يَدِهِ، وَإِنْ نَبِيَّ اللَّهِ دَاوُدَ كَانَ يَأْكُلُ مِنْ عَمَلٍ يَدِهِ».

وَتَبَّتْ فِي الْحَدِيثِ -كَمَا عِنْدَ مُسْلِمٍ^(٢)- عَنِ النَّبِيِّ ﷺ: «أَنَّ نَبِيَّ اللَّهِ زَكَرِيَّا كَانَ نَجَارًا».

وَقَدْ تَاجَرَ النَّبِيُّ ﷺ فِي مَالِ خَدِيجَةَ -كَمَا هُوَ مَعْلُومٌ مِنْ سِيرَتِهِ ﷺ-، وَسُئِلَ ﷺ: أَكُنْتَ تَرَعَى الْغَنَمَ؟

قَالَ: «وَهَلْ مِنْ نَبِيٍّ إِلَّا وَقَدْ رَعَاهَا؟!». وَالْحَدِيثُ فِي «الصَّحِيحَيْنِ»^(٣).

(١) «الصحيح»: (٤/ ٣٠٣، رقم ٢٠٧٢).

(٢) أخرجه مسلم في «الصحيح»: (٤/ ١٨٤٧، رقم ٢٣٧٩)، من حديث: أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٣) «صحيح البخاري»: (٦/ ٤٣٨، رقم ٣٤٠٦)، و«صحيح مسلم»: (٣/ ١٦٢١، رقم ١٦٢١).

وَأَمَّا مَا وَرَدَ عَنْ عَمَلِ الصَّحَابَةِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ؛ فَعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: «كَانَ أَصْحَابُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَمَّالٌ أَنْفُسِهِمْ، فَكَانَ يَكُونُ لَهُمْ أَرْوَاحٌ، فَقِيلَ لَهُمْ: لَوْ اغْتَسَلْتُمْ!». هَذَا فِي «الصَّحِيحَيْنِ» (١).

عِبَادَ اللَّهِ! إِنَّ الْإِسْلَامَ يَدْعُو الْمُؤْمِنِينَ بِهِ إِلَى الْعَمَلِ، وَيَحْتُثُّهُمْ عَلَى السَّعْيِ وَالتَّكْسِبِ، فَهُوَ دِينٌ يُؤَكِّدُ عَلَى الْحَرَكَةِ وَالْحَيَوِيَّةِ، وَيَذُمُّ الكَسْلَ وَالخُمُولَ وَالإِتْكَالِيَّةَ؛ إِذْ لَا مَكَانَ فِيهِ لِلإِسْتِرْحَاءِ وَالبَطَالَةِ، وَالإِعْتِمَادِ عَلَى الْآخَرِينَ، وَاسْتِجْدَائِهِمْ مَعَ القُدْرَةِ عَلَى الإِسْتِغْنَاءِ عَنْهُمْ.

فَالْإِسْلَامُ دِينُ عِبَادَةٍ وَعَمَلٍ، يَحْتُثُّ الْجَمِيعَ عَلَى الإِنْتِاجِ وَالإِبْدَاعِ، وَيَهَيِّبُ بِنِجَاتِ الْمُجْتَمَعِ كَافَةً أَنْ تَنْهَضَ وَتَعْمَلَ بِإِتْقَانٍ، وَيَقُومَ كُلُّ بَدْوَرِهِ الَّذِي أَقَامَهُ اللَّهُ فِيهِ؛ لِنَفْعِ الأُمَّةِ وَإِفَادَتِهَا.



(٢٠٥٠)، من حديث: جَابِرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

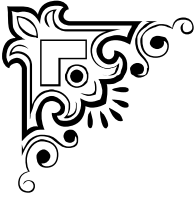
(١) «صحيح البخاري»: (٤ / ٣٠٣، رقم ٢٠٧١)، و«صحيح مسلم»: (٢ / ٥٨١، رقم

مِنْ مَظَاهِرِ عُلُوِّ الْهَمَّةِ فِي الْأُمَّةِ:
عُلُوُّ الْهَمَّةِ فِي إِعْدَادِ الْقُوَّةِ الْعَسْكَرِيَّةِ

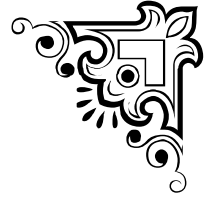
مِنْ أَهَمِّ الْمَجَالَاتِ الَّتِي تَتَطَلَّبُ هِمَّةٌ عَالِيَةٌ، وَنَفْسًا سَامِيَّةً: الْجِهَادُ، وَإِعْدَادُ الْقُوَّةِ
الْعَسْكَرِيَّةِ لِلدَّفَاعِ عَنِ دِينِ الْأُمَّةِ وَمَقَدَّسَاتِهَا، قَالَ رَبُّنَا تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا
أَسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهَبُونَ بِهِءِ عَدُوِّ اللَّهِ وَعَدُوِّكُمْ وَءَاخِرِينَ
مِنْ دُونِهِمْ لَا نَعْلَمُونَهُمْ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ
وَأَنْتُمْ لَا تُظْلَمُونَ﴾ [الأنفال: ٦٠].

وَقَالَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَانَتْهُمْ
بَيْنَ مَرَّضَوْصُ﴾ [الصف: ٤].





مِنْ مِيَادِينِ أَلِهْمِ أَلْعَالِيَةِ:
مِيَادَانُ خِدْمَةِ أَلْوَطَنِ



إِنَّ مِيَادَانَ خِدْمَةِ أَلْوَطَنِ مِنْ أَعْظَمِ أَلْمِيَادِينِ أَلَّتِي تَحْتَاجُ إِلَى أَلِهْمِ أَلْعَالِيَةِ.

وَمِنْ أَلِهْمَةِ أَلْعَالِيَةِ فِي خِدْمَةِ أَلْوَطَنِ أَلْغَالِي أَلْحَبِيبِ: تَعْلِيمُ أَلْعِلْمِ، وَحَفْرُ أَبَارِ أَلْمِيَاهِ، أَوْ تَوْفِيرُ أَلْمِيَاهِ أَلنَّقِيَّةِ، وَغَرْسُ أَلنَّخْلِ، وَبِنَاءُ أَلْمَسَاجِدِ وَأَلْمَدَارِسِ وَأَلْمُسْتَشْفِيَّاتِ، وَنَشْرُ أَلْكَتَبِ أَلنَّافِعَةِ؛ فَعَنْ أَلْنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ أَللَّهِ صلوات الله عليه وآله: «سَبْعُ تَجْرِي لِلْعَبْدِ بَعْدَ مَوْتِهِ وَهُوَ فِي قَبْرِهِ: مَنْ عَلَّمَ عِلْمًا، أَوْ كَرَى نَهْرًا، أَوْ حَفَرَ بئرًا، أَوْ غَرَسَ نَخْلًا، أَوْ بَنَى مَسْجِدًا، أَوْ وَرَثَ مُصْحَفًا، أَوْ تَرَكَ وَلَدًا يَسْتَغْفِرُ لَهُ بَعْدَ مَوْتِهِ»^(١). رَوَاهُ أَلْبَزَّارُ، وَأَبُو نُعَيْمٍ فِي «أَلْحَلِيَّةِ»، وَهُوَ حَدِيثٌ حَسَنٌ لِغَيْرِهِ.



(١) أَخْرَجَهُ أَلْبَزَّارُ فِي «أَلْمَسْنَدِ»: (١٣/٤٨٣، رَقْمُ ٧٢٨٩)، وَابْنُ أَبِي دَاوُدَ فِي «أَلْمَصَاحِفِ»: (ص ٤٦٣)، وَابْنُ حِبَّانَ فِي «أَلْمَجْرُوحِينَ»: (٢/٢٤٧)، تَرْجَمَهُ مُحَمَّدُ بْنُ عُبَيْدِ أَللَّهِ أَلْعُرْزَمِيُّ، وَأَبُو نُعَيْمٍ فِي «أَلْحَلِيَّةِ أَلْأَوْلِيَاءِ»: (٢/٣٤٣)، وَأَلْبِيهَقِيُّ فِي «أَلشَّعْبِ أَلْإِيمَانِ»: (٥/١٢٢، رَقْمُ ٣١٧٥).
وَأَلْحَدِيثُ حَسَنٌ لِغَيْرِهِ أَلْأَلْبَانِيُّ فِي «أَلصَّحِيحِ أَلتَّرغِيبِ وَأَلتَّرهيبِ»: (١/٥٦٦، رَقْمُ ٩٥٩).

عُلُوُّ الْهَمَّةِ فِي الْعُلُومِ الْمَادِّيَّةِ

أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ! مِنَ الْمَيَادِينِ الْعَظِيمَةِ الَّتِي يَنْبَغِي أَنْ تَسْمُوَ هَمَمْنَا فِي التَّرَقِّي فِيهَا وَتَعْلُو: مَبْدَانُ الْعُلُومِ الْمَادِّيَّةِ، وَدِينُ الْإِسْلَامِ الْعَظِيمِ يَحُضُّ الْمُسْلِمِينَ عَلَى التَّرَقِّي فِي الْعُلُومِ، وَفِي النَّظَرِ فِي آفَاقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ، وَعَلَى النَّظَرِ فِي الْأَنْفُسِ؛ بَلْ وَعَلَى النَّظَرِ فِيمَا تَحْتَ الثَّرَى، وَهُوَ مَا وَصَلَ إِلَيْهِ مَنْ وَصَلَ مِنْ نَظَرُوا فِي أَمْثَالِ هَذَا الْأَمْرِ الَّذِي حَدَدَهُ الْقُرْآنُ الْعَظِيمُ، وَهُوَ مَا تَحْتَ الثَّرَى، فَاسْتَخْرَجُوا الْمَعَادِنَ، وَاسْتَخْرَجُوا تِلْكَ الْمَادَّةَ الَّتِي صَارَتْ طَاقَةً لَا يَسْتَعْنِي عَنْهَا الْعَالَمُ الْيَوْمَ.

وَكُلُّ ذَلِكَ أَشَارَ إِلَيْهِ الْقُرْآنُ إِشَارَةً مُجْمَلَةً ﴿وَمَا تَحْتَ الثَّرَى﴾ [طه: ٦].

فَالْمُسْلِمُونَ لَمَّا أَخَذُوا بِتَعَالِيمِ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ؛ تَقَدَّمُوا حَتَّى مَلَكَوا الْعَالَمَ الْقَدِيمَ كُلَّهُ.



ثَمَرَاتُ اِهْمَةِ اَلْعَالِيَةِ

لَقَدْ اَخْبَرَنَا -تَعَالَى ذِكْرُهُ- اَنَّ عَمَلَ كُلِّ عَامِلٍ سَوْفَ يَرَاهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، قَالَ تَعَالَى:
 ﴿اَلَا نَزِرُ وَازِرَةٌ وَّزِرَةٌ وَّزِرٌ اُخْرَى﴾ (٣٨) وَاَنَّ لَيْسَ لِلْاِنْسَانِ اِلَّا مَا سَعَى (٣٩) وَاَنَّ سَعْيَهُ سَوْفَ يُرَى
 ﴿٤٠﴾ ثُمَّ يُجْزَاهُ الْجَزَاءَ اَلْاَوْفَى ﴿[النجم: ٣٨-٤١].

اِنَّ لِلهِمَّةِ اَلْعَالِيَةِ كَثِيْرًا مِّنَ الْفَوَائِدِ وَالثَّمَرَاتِ، وَمِنْهَا:

* اَلْحَيَاةُ الطَّيِّبَةُ السَّعِيْدَةُ فِي الدُّنْيَا، وَالجَزَاءُ الْحَسَنُ فِي الْاٰخِرَةِ، قَالَ تَعَالَى: ﴿مَنْ
 عَمِلَ صَالِحًا مِّنْ ذَكَرٍ اَوْ اُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيٰوةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ
 اَجْرَهُمْ بِاَحْسَنِ مَا كَانُوْا يَعْمَلُوْنَ﴾ [النحل: ٩٧].

* وَمِنْ ثَمَرَاتِ عَلُوْ اِهْمَةِ: قُوَّةُ الْقَلْبِ الْوَاقِيَةُ مِّنْ كَثِيْرٍ مِّنَ الْاَمْرَاضِ
 وَالْاِضْطِرَابَاتِ النَّفْسِيَّةِ؛ فَمِنْ اَعْظَمِ الْعِلَاجَاتِ لِاَمْرَاضِ الْقَلْبِ الْعَصَبِيَّةِ؛ بَلْ
 وَاَيْضًا لِاَمْرَاضِ الْبَدَنِيَّةِ: قُوَّةُ الْقَلْبِ، وَعَدَمُ اِنْزِعَاجِهِ وَاَنْفِعَالِهِ لِالْاَوْهَامِ
 وَالْخَيَالَاتِ الَّتِي تَجْلِبُهَا الْاَفْكَارُ السَّيِّئَةُ.

* مِّنْ ثَمَرَاتِ عَلُوْ اِهْمَةِ: التَّحَلِّيُّ بِمَعَالِي الْخِصَالِ، وَالنَّظَرُ اِلَى اَسْمَى الْاَمَالِ،
 وَابْتِعْدُ عَنِ السَّفَاسِفِ، قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «اِنَّ اللّٰهَ جَلَّ وَعَلَا يُحِبُّ مَعَالِيَ الْخِصَالِ

- يُحِبُّ مَعَالِيَ الْأَخْلَاقِ -، وَيَكْرَهُ سَفْسَافَهَا» (١).

* مِنْ أَعْظَمِ ثَمَرَاتِ عُلُوِّ الْهَمَّةِ: الْجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِصَدَقٍ وَعَزْمٍ، الَّذِي مِنْ ثَمَرَاتِهِ: الْهَدَايَةُ إِلَى الطَّرِيقِ الْمُوَصَّلَةِ إِلَى اللَّهِ، وَالنَّصْرُ وَالتَّأْيِيدُ، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾ [العنكبوت: ٦٩].

* وَمِنْ أَعْظَمِ نَتَائِجِ عُلُوِّ الْهَمَّةِ: الْمُسَارَعَةُ فِي الْخَيْرَاتِ الَّتِي لَهَا كَثِيرٌ مِنَ الْفَوَائِدِ وَالثَّمَرَاتِ؛ فَالْمُسَارَعَةُ إِلَى الْخَيْرَاتِ وَالْأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ مَرْضَاةٌ لِلرَّبِّ ﷻ، وَمَعْصَبَةٌ لِلشَّيْطَانِ، وَالْمُسَارَعَةُ فِي الْخَيْرَاتِ تَرْفَعُ صَاحِبَهَا إِلَى جَنَّاتِ عَدْنٍ؛ حَيْثُ النَّعِيمُ الْمُقِيمُ وَالْفَضْلُ الْعَظِيمُ.

* إِنَّ عُلُوِّ الْهَمَّةِ سَبِيلُ الْأُمَّمِ الْمُتَحَضَّرَةِ وَالْأَوْطَانِ الْقَوِيَّةِ، فَعُلُوُّ الْهَمَّةِ يَدْفَعُ إِلَى الْعَمَلِ وَالإِنْتِاجِ، وَقَدْ جَعَلَ اللَّهُ الْأَرْضَ مُنْقَادَةً لِلْبَشْرِ، وَسَخَّرَ لَهُمُ الْمَخْلُوقَاتِ الْمُخْتَلِفَةَ؛ مِنْ أَجْلِ حِرَاثَةِ الْأَرْضِ وَزِرَاعَتِهَا وَتَعْمِيرِهَا، وَمِنْ أَجْلِ تَرْقِيَةِ الْحَيَاةِ، قَالَ تَعَالَى: ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذُلُولًا فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِنْ رِزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ﴾ [الملك: ١٥].

* أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ! إِنَّ عُلُوِّ الْهَمَّةِ سَبَبُ الْوُصُولِ إِلَى الْمَقَامَاتِ الْعَالِيَةِ وَالْأَمَالِ النَّبِيلَةِ السَّامِيَةِ، وَهَلْ وَصَلَ مَنْ وَصَلَ إِلَى الْمَقَامَاتِ الْمَحْمُودَةِ وَالنَّهَائِيَاتِ الْفَاضِلَةِ إِلَّا عَلَى جِسْرِ الْمِحْنَةِ وَالِإِبْتِلَاءِ!!؟

كَذَا الْمَعَالِي إِذَا مَا رُمْتَ تُدْرِكُهَا

فَاعْبُرْ إِلَيْهَا عَلَى جِسْرِ مِنَ التَّعَبِ^(١).



(١) البيت مأخوذ من قول أبي تمام حبيب بن أوس الطائي (المتوفي: ٢٣١هـ) في القصيدة البائية المشهورة في «ديوانه»: (١/ ٤٠، القصيدة رقم ٣)، التي يمدح فيها المعتصم بعد فتح عمورية، ويقول في مطلعها [من البسيط]:

السَّيْفُ أَصْدَقُ أَنْبَاءٍ مِنَ الْكُتُبِ فِي حَدِّهِ الْحَدُّ بَيْنَ الْجِدِّ وَاللَّعِبِ

فقال أبو تمام (١/ ٧٣، البيت: ٦٨):

بَصُرْتَ بِالرَّاحَةِ الْكُبْرَى فَلَمْ تَرَهَا تُنَالُ إِلَّا عَلَى جِسْرِ مِنَ التَّعَبِ

ضَعْفُ الْهَمَّةِ وَالْعَجْزُ الْقَبِيحُ!!

يَقُولُ الشَّاعِرُ الْقَدِيمُ^(١):

وَلَمْ أَر فِي عُيُوبِ النَّاسِ عَيْبًا كَنَقْصِ الْقَادِرِينَ عَلَى التَّمَامِ

هَذَا الشَّاعِرُ يُقَرِّرُ حَقِيقَةَ مِنَ الْحَقَائِقِ الَّتِي لَا يُمَارِي فِيهَا عَاقِلٌ، وَهَذِهِ
الْحَقِيقَةُ هِيَ أَنَّ أَكْبَرَ عُيُوبِ الْمَرْءِ: أَنْ يُؤْتِيَهُ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى مِنَ الْأَدَوَاتِ
وَالْوَسَائِلِ، وَأَنْ يَمُنَّ عَلَيْهِ مِنَ الْمَقْدَرَةِ وَالْقُدْرَةِ بِمَا يَسْتَطِيعُ بِهِ أَنْ يَتِمَّ تَمَامُهُ، وَمَعَ
ذَلِكَ فَلَا يَتِمُّ!!

وَلَمْ أَر فِي عُيُوبِ النَّاسِ عَيْبًا كَنَقْصِ الْقَادِرِينَ عَلَى التَّمَامِ

(١) البيت من البحر الوافر لشاعر الزمان: أبي الطيب أحمد بن الحسين الكوفي، الشهير
بالمُتَنَّبِي (المتوفى: ٣٥٤ هـ)، وهو في ديوانه: (ص ٤٨٣)، من قصيدة يصف ما ناله من
الحمى بمصر، ويعرض بالرحيل عنها، فيقول في مطلعها:

ملومكما يجل عن الملام ووقع فعاله فوق الكلام

وانظر: شرح معاني شعر المتنبي: (١/ ١٦٣)، و«اللامع العزيري شرح ديوان المتنبي»:

(ص ١٣٢٣).

لِأَنَّ هَذَا إِنَّمَا يَرْجِعُ فِي النَّهَائَةِ إِلَى الْعَجْزِ، وَاللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى يُبْغِضُ الْعَجْزَ وَيَكْرَهُهُ؛ لِأَنَّ الْإِنْسَانَ إِذَا آتَاهُ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى قُدْرَةً عَلَى أَنْ يَكُونَ خَيْرًا، وَنَافِعًا، وَصَالِحًا، وَمُجْتَهِدًا، وَمُتَعَلِّمًا، وَعَالِمًا، فَفَرَّطَ فِي هَذَا كُلِّهِ، وَرَضِيَ بِالذُّونِ؛ فَهَذِهِ دَلَالَةٌ خَطِيرَةٌ وَقَاطِعَةٌ عَلَى أَنْ هُنَالِكَ خَلَلًا مَا فِي فِطْرَتِهِ، أَصَابَ هَذِهِ الْفِطْرَةَ هَذَا الْخَلْلُ، فَحَرَفَهَا عَمَّا يَنْبَغِي أَنْ تَكُونَ عَلَيْهِ.



كُنْ عَالِي الْهَمَّةِ سَامِي النَّفْسِ!

عِبَادَ اللَّهِ! عَلَيْنَا أَنْ نَنْتَبِهَ وَأَنْ نَتَّقِظَ، وَأَنْ تَكُونَ هِمَّتُنَا عَالِيَةً، حَاوِلْ مَرَّةً وَمَرَّةً
وَمَرَّةً، لَا تُطَاوِعِ النَّوْمَ، لَا تُطَاوِعِ الْغَرَائِزَ الَّتِي تَهْفُو إِلَى الرَّاحَةِ، وَتُخَلِدُ إِلَيْهَا!
أَتَعِبَ نَفْسَكَ؛ فَإِنَّكَ لَا تَدْرِي لَعَلَّ الصَّحِيحَ أَنْ يَمْرَضَ، لَعَلَّ الْقَوِيَّ أَنْ
يَسْقَمَ، لَعَلَّ الْغَنِيَّ أَنْ يَفْتَقِرَ، لَعَلَّ الْوَاجِدَ أَنْ يُعْدَمَ!

عَلَى الْإِنْسَانِ أَنْ يَعْلَمَ أَنَّ دَوَامَ الْحَالِ مِنَ الْمُحَالِ، وَأَنَّهُ مَا دَامَ فِي نِعْمَةٍ
وَعَافِيَةٍ؛ فَعَلَيْهِ أَنْ يَنْتَهِزَ هَذِهِ الْفُرْصَةَ؛ فَإِنَّهُ لَا يَدْرِي مَا يَأْتِي بِهِ الْغَدُ!!

إِذَا كُنْتَ ذَا نِعْمَةٍ فَارْعَهَا فَإِنَّ الْمَعَاصِيَ تُزِيلُ النِّعَمَ^(١)

(١) البيت من البحر المتقارب، لأمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، وهو في ديوانه:
(ص ١٧٥ - ١٧٦)، والأبيات بعده:

وَحَافِظَ عَلَيْهَا بِتَقْوَى الْإِلَهِ فَإِنَّ الْإِلَهِ سَرِيعُ النِّقْمِ
فَإِنْ تَعَطَّ نَفْسَكَ آمَالُهَا فَعِنْدَ مَنَاهَا يَحِلُّ النِّدْمُ
فَأَيْنَ الْقُرُونُ وَمَنْ حَوْلَهُمْ تَفَانُوا جَمِيعًا، وَرَبِّي الْحَكَمُ
وَكَنْ مُوسِرًا شِئْتَ أَوْ مَعْسِرًا فَلَا بَدَ تَلْقَى بِدُنْيَاكَ غَمٌ

يَحْذَرُ الْإِنْسَانُ أَنْ تَزُولَ النَّعْمُ؛ لِأَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ يَضْرَعُ إِلَى رَبِّهِ بِاللَّيْلِ
النَّعْمَةَ عَنْهُ: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ زَوَالِ نِعْمَتِكَ، وَفَجَاءَةِ نِقْمَتِكَ، وَتَحَوُّلِ
عَافِيَتِكَ، وَجَمِيعِ سَخَطِكَ» (١).

مَا أَكْثَرَ مَا يُفَرِّطُ أَهْلُ السُّنَّةِ فِي الدَّعْوَةِ إِلَى الْحَقِّ وَالْخَيْرِ، يُمْكِنُهُ اللَّهُ
تَبَارَكَ وَتَعَالَى مِنَ الدَّعْوَةِ فِي مَكَانٍ، فَيُصِيبُهُ دَاءُ بَنِي إِسْرَائِيلَ، يُؤْتِيهِمُ اللَّهُ رَبُّ

ودنياك بالغم مقرونة	فلا يقطع العمر إلا بهم
حلاوة دنيائك مسؤومة	فما تأكل الشهد إلا بسؤم
محامد دنياك مذمومة	فلا تكسب الحمد إلا بدم
إذا تم أمر بدا نقصه	ترقب زوالا إذا قيل: تم
وكم قدر دب في غفلة	فلم يشعر الناس حتى هجم

وقد أخرج ابن عساكر في «تاريخ دمشق»: (٧٠ / ٥٤)، ترجمة (٦٦٠٧)، بإسناده، عن
عمرو بن المهاجر، قال: كنت أسمع عمر بن عبدالعزيز كثيرا يتمثل بهذه الأبيات:
إذا كنت في نعمة فارعها فإن المعاصي تزيل النعم
ولا تحقرن صغير الذنوب فإن الإله شديد النقم

والبيت عزاه في «الدر الفريد»: (٢ / ٣٩٥، رقم ١٢٤٧) و(٣ / ١١٠، رقم ١٨٥٠) لأبي
العَتَاهِيَّة: رَأْسُ الشُّعْرَاءِ الْأَدِيبِ إِسْمَاعِيلَ بْنِ قَاسِمِ بْنِ سُؤَيْدِ الْعَنْزِيِّ، المَتَوَفَى سَنَةَ
٢٢٠هـ، وَقَالَ: «وَتَرَوَى لِعَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْمُبَارَكِ»، وليس في ديوانهما.

(١) أخرج مسلم: (٤ / ٢٠٩٧، رقم ٢٧٣٩)، من حديث: عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ، قَالَ:

كَانَ مِنْ دُعَاءِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ زَوَالِ نِعْمَتِكَ، وَتَحَوُّلِ عَافِيَتِكَ،
وَفَجَاءَةِ نِقْمَتِكَ، وَجَمِيعِ سَخَطِكَ».

الْعَالَمِيْنَ الْمَنَّ وَالسَّلْوَى، فَيَمْلُونَ مِنَ الْمَنَّ وَالسَّلْوَى، وَيَطْلُبُونَ الْبَصَلَ،
وَالْكُرَاتِ، وَالْعَدَسَ، وَمَا أَشْبَهَ، وَيَدْعُونَ أَمْثَالَ هَذَا الطَّعَامِ الطَّيِّبِ الَّذِي أَنْعَمَ اللهُ
تَبَارَكَ وَتَعَالَى عَلَيْهِمْ بِهِ!!

الْإِنْسَانُ يَمَلُّ النِّعْمَةَ، كَمَا قَالَ الْعَوَامُّ وَمَا زَالُوا يَقُولُونَ: «النِّعْمَةُ عَلَيَّ ابْنِ آدَمَ
جَبَلٌ!!».

مَا يَزَالُ الصَّحِيحُ يَسْتَهِينُ بِنِعْمَةِ اللهِ عَلَيْهِ بِالصَّحَّةِ حَتَّى تَذَهَبَ، مَا يَزَالُ
الْغَنِيُّ فِي حَالِ غِنَاهُ يَسْتَهِينُ بِنِعْمَةِ اللهِ عَلَيْهِ حَتَّى يَفْتَقِرَ، مَا يَزَالُ الدَّاعِي إِلَى اللهِ
يُؤْتِيهِ اللهُ التَّمَكِينَ فِي الْمَكَانِ، فَمَا يَزَالُ فِي مَلَلٍ وَضَجَرٍ حَتَّى يُزِيلَ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى
عَنْهُ النِّعْمَةَ، وَيَنْظُرُ إِلَيْهَا بَعْدَ ذَلِكَ فِي يَدِ كُلِّ مُنْحَرِفٍ وَقَدْ مَكَّنَ مِنْهَا، وَهُوَ مِنْهَا
وَعَنْهَا مُبْعَدٌ، وَكُلُّ ذَلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ.

أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ! مَا الَّذِي يُعْجِزُنَا؟!!

إِنَّمَا هُوَ الْحِجَابُ الْكَثِيفُ؛ هُوَ مَلَأَ الْقَلْبَ بِمَا يَصْرِفُهُ عَنِ الرَّبِّ، وَشَغَلَ
الضَّمِيرَ وَالْبَالِ بِمَا فِيهِ الْمَضْرَّةُ فِي الْمَالِ وَالْحَالِ!!

إِنَّمَا هُوَ الْعَجْزُ الْقَبِيحُ، وَالْخُلُودُ إِلَى الْأَرْضِ، وَمَوْتُ الْهَمَّةِ!! مَعَ أَنَّ النَّبِيَّ
ﷺ يَسْتَنْفِرُ الْهَمَمَ: «إِذَا سَأَلْتُمْ اللهُ الْجَنَّةَ؛ فَاسْأَلُوهُ الْفِرْدَوْسَ الْأَعْلَى؛ فَإِنَّهُ أَعْلَى
الْجَنَّةِ وَأَوْسَطُهَا»^(١).

«إِذَا سَأَلْتُمْ اللهُ الْجَنَّةَ؛ فَاسْأَلُوهُ الْفِرْدَوْسَ الْأَعْلَى»؛ لَا تَكُنْ ضَعِيفَ الْهَمَّةِ؛
فَضْلًا عَنْ أَنْ تَكُونَ مَيْتَهَا!!

(١) تقدم تخريجه.

لِمَ لَا تُنَافِسُ فِي أَمْثَالِ هَذِهِ الْأَحْوَالِ!!؟

لِمَ تَقْنَعُ بِالِدُّونِ عَمَّا هُوَ فَوْقَ السَّحَابِ؛ بَلْ هُوَ فِي النُّجُومِ!!؟

لِمَاذَا تُؤَثِّرُ الدُّنْيَا عَلَى الْآخِرَةِ!!؟

لِمَاذَا لَا تَتَغَيَّرُ!!؟

مَا الَّذِي يَمْنَعُكَ!!؟

أَتَشْكُ فِي كَلَامِ رَبِّكَ!!؟

أَلَا لَا إِيمَانَ لَكَ!!؟

أَلَا تُصَدِّقُ نَبِيَّكَ ﷺ!!؟

أَأَنْتَ فِي رَيْبٍ وَشَكٍّ مِنَ الْمَوْتِ!!؟

أَلَا تُوقِنُ أَنَّكَ سَتَمُوتُ!!؟

وَمَنْ نَظَرَ إِلَيْكَ بَعْدَ ثَلَاثٍ؛ وَجَدَ حَدَقَتَيْكَ قَدْ سَالَتَا عَلَى وَجْتَيْكَ، وَانْقَضَّ

بَطْنُكَ عَمَّا فِيهِ مِنَ الْأَذَى وَالْقَدَى، «وَأَوَّلُ مَا يُنْتِنُ مِنَ الْإِنْسَانِ بَطْنُهُ!!».

أَلَا تُوقِنُ بِأَنَّكَ صَائِرٌ إِلَى ذَلِكَ!!؟

لِمَاذَا تُشْغَلُ بِأَمْثَالِ هَذِهِ الْأَلَا عَيْبِ الَّتِي هِيَ بِالصَّبِيَانِ أَلْتِيقُ!!؟

لِمَاذَا لَا تَكُونُ رَجُلًا مُسْلِمًا بِصِدْقٍ وَحَقٍّ!!؟

مَا الَّذِي يَمْنَعُكَ!!؟

وَمَا الَّذِي يُعْجِزُكَ!!؟

لِمَ لَا تَتُوبُ إِلَى اللَّهِ!!؟

وَلِمَ لَا تَرْجِعُ إِلَيْهِ!!؟

وَلِمَ لَا تَتَّبِعُ رَسُولَ اللَّهِ، وَتُخْلِصُ فِي الْمَتَابَعَةِ لَهُ!!؟

قَعَدَتْ بِكَ شِقْوَتُكَ!!؟

اسْتَعِنُ بِاللَّهِ رَبِّكَ!.

فَنَسَأَلُ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى أَنْ يُوفِّقَنَا إِلَى الْمُسَارَعَةِ فِي الْخَيْرَاتِ، وَإِلَى الْمُسَابَقَةِ فِي تَحْصِيلِ الْحَسَنَاتِ، وَأَنْ يُوفِّقَنَا إِلَى الْمُبَادَرَةِ إِلَى الْعَمَلِ الصَّالِحِ، وَأَنْ يَهْدِينَا إِلَى الرُّشْدِ، وَأَنْ يُخْلِصَ نِيَّاتِنَا وَقُصْدَنَا، وَأَنْ يُحَسِّنَ أَقْوَالَنا وَأَعْمَالَنَا، وَأَنْ يَجْعَلَنَا مِنَ الْمَقْبُولِينَ.

أَسْأَلُ اللَّهَ رَبُّ الْعَالَمِينَ أَنْ يُبَصِّرَنَا بِحَقِيقَةِ دِينِنَا، وَأَنْ يَرْزُقَنَا حَلَاوَةَ الْيَقِينِ، وَأَنْ يُفَهِّمَنَا حَقِيقَةَ الدِّينِ، وَأَنْ يَرْزُقَنَا الْهَمَّةَ الْمُتَوَثِّبَةَ الْوَضَاءَةَ الْمُتَالِّقَةَ الَّتِي بِهَا نَصُبُو إِلَى مَعَالِي الْأُمُورِ، وَنَخْرُجُ مِنْ إِلْفِ الْعَادَةِ إِلَى مَا هُوَ مَطْلُوبٌ مِنْ تَحْصِيلِ أَسْبَابِ السَّعَادَةِ.

وَصَلَّى اللَّهُ وَسَلَّمْ عَلَى نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ، وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ أَجْمَعِينَ.



الفهرس

- ٣ الْمُقَدِّمَةُ
- ٤ عُلُوُّ الْهَمَّةِ مِنْ صِفَاتِ عِبَادِ الرَّحْمَنِ
- ٦ التَّرغِيبُ فِي عُلُوِّ الْهَمَّةِ فِي الْقُرْآنِ وَالسُّنَّةِ
- ١٢ سُبُلُ عُلُوِّ الْهَمَّةِ
- ١٦ أَسْبَابُ دُنُوِّ الْهَمَّةِ
- ١٩ مَظَاهِرُ عُلُوِّ الْهَمَّةِ فِي حَيَاةِ الْمُسْلِمِ
- ٢٠ مِنْ مَظَاهِرِ عُلُوِّ الْهَمَّةِ فِي الْحَيَاةِ: عُلُوُّ الْهَمَّةِ فِي طَلَبِ الْعِلْمِ
- ٢٧ مِنْ مَظَاهِرِ الْهَمَّةِ الْعَالِيَةِ: الْحِرْصُ عَلَى الْوَقْتِ
- ٢٩ مِنْ مَظَاهِرِ عُلُوِّ الْهَمَّةِ: عُلُوُّ الْهَمَّةِ فِي الْعِبَادَةِ
- ٣١ مِنْ أَعْظَمِ مَيَادِينِ عُلُوِّ الْهَمَّةِ: مَيْدَانُ الْأَخْلَاقِ الْفَاضِلَةِ
- ٣٢ مِنْ أَعْظَمِ مَيَادِينِ عُلُوِّ الْهَمَّةِ: مَيْدَانُ الدَّعْوَةِ إِلَى اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى
- ٣٤ مِنْ مَظَاهِرِ عُلُوِّ الْهَمَّةِ: عُلُوُّ الْهَمَّةِ فِي خِدْمَةِ الْمُجْتَمَعِ وَالْبَدَلِ

- ٣٨ مِنْ مَظَاهِرِ عُلُوِّ الْهَمَّةِ فِي الْحَيَاةِ: عُلُوُّ الْهَمَّةِ فِي الْعَمَلِ
- ٤١ مِنْ مَظَاهِرِ عُلُوِّ الْهَمَّةِ فِي الْأُمَّةِ: عُلُوُّ الْهَمَّةِ فِي إِعْدَادِ الْقُوَّةِ الْعَسْكَرِيَّةِ
- ٤٢ مِنْ مِيَادِينِ الْهَمِّ الْعَالِيَةِ: مِيدَانُ خِدْمَةِ الْوَطَنِ
- ٤٣ عُلُوُّ الْهَمَّةِ فِي الْعُلُومِ الْمَادِيَةِ
- ٤٤ ثَمَرَاتُ الْهَمَّةِ الْعَالِيَةِ
- ٤٧ ضَعْفُ الْهَمَّةِ وَالْعَجْزُ الْقَبِيحُ!!
- ٤٩ كُنْ عَالِيِ الْهَمَّةِ سَامِيِ النَّفْسِ!
- ٥٥ الْفِهْرُسُ

